التَّعْرِيفُ بالعُلَمَاءِ

وذِكرُ بَعضِ حقُوقِهِمْ

ومسالك أهل البدع معهم

على مدار التاريخ

تأليف

أبي يحيي محمد بن عبده

حفظه الله

التَّعْرِيفُ بالعُلَمَاءِ وَذِكْرُ بَعضِ حُقُوقَهُمْ
وَمسالك أهل البدع منهم

تأليف

أبي يحي محمد بن عبده

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وبعد.

فَفِي آخر الزَّمَانِ يقل العِلْمُ، كما قال رسول الله ﷺ «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ** ...».[1]

وَالْعِلْمُ هَادٍ، وَالْحَالُ الصَّحِيحُ مُهْتَدٍ بِهِ، وَهُوَ تَرِكَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثُهُمْ، وَأَهْلُهُ عُصْبَتُهُمْ وَوُرَّاثُهُمْ، وَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ. وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَأَنَسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رضي الله عنه: النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. وَحَاجَتُهُ إِلَى الْعِلْمِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ.[2]

ومن أعظم أسباب قِلَةِ العِلمِ:

قِلَةُ العُلَمَاءِ، فَينتَشِرُ الجَهْلُ ويفشو، وهذا مدعاة لكثرة الْفِتَن وظهور الضَّلال بطبيعةِ الحَال....وهَلُمَّ لِلشَّرِّ جراً. ويحصل هذا تماماً إذا ضَلَّ النَّاسُ عنْ معرفةِ العُلَمَاءِ بصفاتهم، ويحصل منه إذا أُهْدِرَت مكانتهم ...

---

(١) أخرجه البخاري (٨١) ومسلم (٢٦٧١).

(٢) انظر «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٠).

فإذا غابت صِفَاتُهُم أو مَنَازِلُهُم في النَّاسِ- أو كَثُرَت الفِتَنُ التي تَصُدُّ أو تُلهي عَنهم - حَصَل مِنْ الشَّرِّ كَما يَحصُلُ من انعِدامِهم...المُؤَدَّي وَاحِدٌ: يَنصَرفُ النَّاسُ وَلَا يَجِدُونَ الْعَالِمَ الذي يَرُدَّهُمْ إِلَى النَّهْجِ الوَاضِحِ الذي جَعَلَ رسولُ الله ﷺ ليلَه كنهاره لَا يزِيغ عَنهُ إِلَّا هَالِكٌ.

والحاجة إلى العالم ماسَّة في كل زمان:

أخرج ابن أبي خيثمة وغيره بسندٍ صحيح عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن مَهْدِيّ، قال: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ تَوَاضَعَ لَهُ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلَهُ فِي الْعِلْمِ فَهُوَ يَوْمُ غَنِيمَةٍ، دَارَسَهُ وَذَاكَرَهُ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ تَوَاضَعَ لَهُ وَعَلَّمَهُ وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى كُلَّ مَا سَمِعَ. (١)

وقال أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ مَمْشَاهُ وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ وَمَجْلِسُهُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ»(٢).

وإنَّ تغييب العَالِمِ أو غَيبته بحَق لهو الضَّلالُ بِعَيْنِهِ:

---

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في«تاريخه»(٤٧٠) والبيهقي في«المدخل»(٦٤٣) واللفظ له والرامهرمزي في«المحدث الفاصل بين الراوي والواعي »ص.٢٠٥

(٢) علَّقه البخاري في«تاريخه»(٤/ ٢٣٩) وأبو نعيم في «الحلية»(١/ ٢١١) وابن عبد البر في«الجامع»(٨٢١) وفي سنده شريك بن نهيك، ولم يوثِّقه معتبر فيما أعلم .

وله طريق آخر أخرجه الحسين المروزي في«زوائد الزهد» (٩٨٨) وفي سنده أبو قلابة وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث، ليس فيه عبارة:« مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ ».

وله طريق آخر أخرجه ابن أبي عاصم في«الزهد»(٩٧٧) وفي سنده من لم أعرفه، وأرجو أن يكون الأثر حسن بهذه الطرق إن شاء الله، وإلا فعلى أي حال معنى الأثر صحيح لا شك فيه، والله علم ..

فأخرج البخاري ومسلم[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**».

وفي رواية:

«**حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِما اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».[٢]

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: «تَعَلَّمُوا قَبْلَ الظَّانِّينَ»[٣].

قال البخاري رحمه الله: يَعْنِي: الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالظَّنِّ.

قال الحافظ ابن حجر[٤]:«فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ أَهْلَ ذَلِكَ الْعَصْرِ كَانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ النُّصُوصِ وَلَا يَتَجَاوَزُونَهَا وَإِنْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمُ الْفَتْوَى بِالرَّأْيِ فَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ وَفِيهِ إِنْذَارٌ بِوُقُوعِ مَا حَصَلَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَائِلِينَ بِالرَّأْيِ وَقِيلَ مُرَادُهُ قَبْلَ انْدِرَاسِ الْعِلْمِ وَحُدُوثُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) وأخرج الدارمي (٢٦١)وابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٨) والبيهقي في «الشُعب» (١٥٤٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٧٦) عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، قَالَ:
سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟قَالَ: «إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ».
وأخرج الدارمي (٢٦٢ ، ٢٦٩) بإسناد رجاله مُعَدَّلُون عَنْ عَبْدِ الله بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَ الأَوَّلُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ أَوْ يُعَلِّمَ الآخِرَ، فَإِذَا هَلَكَ الأَوَّلُ قَبَلَ أَنْ يُعَلِّمَ، أَوْ يَتَعَلَّمَ الآخِرُ هَلَكَ النَّاسُ».

(٣) أخرجه البخاري معلَّقاً تعليقاً مجزوماً به في صدر كتاب الفرائض عقب(٦٧٢٢) وقد وصله ابن وهب في«مسنده» (١٩٦) بسندٍ حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه بلفظ:«تعلَّموا الفرائض قبل الظانين» .

(٤) في«فتح الباري»(١٢/ ٤).

مَنْ يَتكَلَّمُ بِمُقْتَضَى ظَنّه غير مُسْتَند إِلَى علم».

فمن أضرار موت العلماء: رفع العلم، وإذا رفع العلم ظهرت البدع من أدعياء العلم (أهل الأهواء)، ويحلُّون محل أهل العلم، فتنثلم في المسلمين ثُلمة لا يسدُّها شيء، ولا تنجبر إلى يوم القيامة، فيظهر الضلال، والانحراف عن السبيل المستقيم إلى سُبُل الشياطين.

وقد قال بعضهم يرحمه الله:

الْأَرْضُ تحيَا إِذَا مَا عَاش عَالِمُهَا ... مَتَى يمُتْ عَالمٌ مِنْهَا يمُتْ طَرَفُ

كَالْأَرْضِ تحْيَا إِذَا مَا الْغَيْثُ حَلَّ بِهَا ... وَإِنْ أَبَى عَادَ فِي أكنَافهَا التَّلَفُ

قال السخاوي[1]:

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِشُيُوخِهِمْ، فَإِذَا ذَهَبَ الشُّيُوخُ فَمَعَ مَنَ الْعَيْشُ؟

وفضل العلماء كبير جداً ومعروف لدى العقلاء.

قال الآجري رحمه الله[2]:

« الْعُلَمَاءُ ، فِي كُلِّ حَالٍ ، لَهُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ فِي خُرُوجِهِمْ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَفِي مُجَالَسَتِهِمْ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ ، وَفِي مُذَاكَرَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، وَفِيمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ الْعِلْمَ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، وَفِيمَنْ عَلَّمُوهُ الْعِلْمَ لَهُمْ فِيهِ فَضْلٌ، فَقَدْ جَمَعَ اللهُ لِلْعُلَمَاءِ الْخَيْرَ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، نَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ بِالْعِلْمِ» .

قال ابن عيينة: أَعْظَمُ النَّاسِ مَنْزِلَةً مَنْ كَانَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ: الأَنْبِيَاءُ، وَالعُلَمَاءُ.

---

(١) في«فتح المغيث»(٣/ ٢٨٦).

(٢) في كتابه « أخلاق العلماء » ص٤٠.

وقال سهل التستري: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَجَالِسِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ .[١]

قال ابن القيم معلِّقًا عليه: [٢]

« وَهَذَا لَان الْعلمَاء خلفاء الرُّسُل فِي أُمَمِهم، ووارثوهم فِي علمهمْ فمجالسهم مجَالِس خلَافَة النُّبُوَّة ».

فكان على العاقل أن يُسارع إلى تحصيل العلم قبل ذهاب أهله.

وقد أخرج البيهقي[٣] وغيره بإسنادٍ صحيح عَنْ عَائِذِ اللهِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى دَرَجِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ فَمَا أَنْسَى أَنَّهُ يَوْمَ خَمِيسٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَإِنَّ مِنْ رَفْعِهِ أَنْ يُقْبَضَ أَصْحَابُهُ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَقَدْ تَرَكُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ».

وأخرج عبد الرزاق[٤] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ الرعد.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الأنبياء. بسندٍ صحيح عَنْ مُجَاهِدٍ، {نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد: ٤١]، قَالَ: «الْمَوْتُ مَوْتُ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا». **وفي رواية الطبري**[٥] عنه قال:

«مَوْتُ الْعُلَمَاءِ» [١].

---

(١) أخرجه عنهما الخطيب البغدادي في«الفقيه والمتفقه»(١/ ١٤٩) بسنديه.

(٢) في كتابه«مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٩).

(٣)في «المدخل» (٣٨٨) وابن عساكر في«تاريخه»(٤٣/ ٣١٥).

(٤) في«تفسيره»(١٣٩٤) .

(٥) في«تفسيره»(١٣/ ٥٧٩).

وأخرج ابن عبد البر بسندٍ لا بأس به عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ وَسَائِرُ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، إِنَّ أَغْنَى النَّاسِ رَجُلٌ عَالِمٌ افْتُقِرَ إِلَى عِلْمِهِ فَنَفَعَ مَنِ افْتَقَرَ إِلَيْهِ وَإِنِ اسْتُغْنِيَ عَنْ عِلْمِهِ نَفَعَ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ الَّذِي وَضَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ، فَمَالِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَمُوتُونَ وَجُهَّالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ الْأَوَّلُ وَلَا يَتَعَلَّمُ الْآخِرُ، وَلَوْ أَنَّ الْعَالِمَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَازْدَادَ عِلْمًا وَمَا نَقَصَ الْعِلْمُ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ الْجَاهِلَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَوَجَدَ الْعِلْمَ قَائِمًا، فَمَالِي أَرَاكُمْ شِبَاعًا مِنَ الطَّعَامِ جِيَاعًا مِنَ الْعِلْمِ». (٢)

وأخرج الطبري والحاكم[٣] بسندٍ فيه نظر في تفسير آية الرعد أيضاً عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «ذَهَابُ عُلَمَائِهَا، وَفُقَهَائِهَا، وَخِيَارِ أَهْلِهَا».

فَغِيابُ العُلَمَاءِ أو عَدَمُ تمييزِ النَّاسِ العُلَمَاءَ بِحَقٍّ مِن غيرهم أدَّي إلى سُؤالِ الجُهَّالِ الَّذِينَ لبِسُوا ثَوبَ العُلماءِ وَلَيْسُوا مِنهم، فَأَشْتَبَه ذلك على الناس لِجَهْلِهِمْ بِصِفَاتِ العُلَمَاءِ، فكانت النتيجةُ ما قاله رَسُولُ اللهِ: «انتشار الضلال» على أنه هُدَيً، وما أكثر التَّلبيس في أيَّامِنا من أُوْلَئِكَ المُتَشَبِّهِينَ بالعُلَمَاءِ وَهُم المَشْبُوهونَ. وعلى هذا فقد يُذْدَرَي الْعَالِمُ الحَقُّ وَيُهمَلُ حَقُّهُ، ولا يُتَأدبُ معه، لأن الجَهْلَ يؤدي إلى جَلَافَةٍ، ولذا كان الجَفَاءُ وَالجَلَافَةُ فِي الأعْرَابِ لِبُعْدِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَعَدَمِ المَعرِفَةِ بِأَقْدَارِهِمْ.

=

(١) ولا يخفى منزلة مجاهد في التفسير وقد صح عن سُفْيَان الثَّوْرِيِّ، قال: «إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَحَسْبُكَ بِهِ». أخرجه عنه الطبري بسند ثابت خرَّجته في كتابي «شرح مقدمة أصول التفسير»

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٠٣٦) بإسنادٍ لا بأس به، وله طريق آخر مختصراً أخرجه الدارمي (٢٦٤) وابن أبي شيبة (٧/ ١١٣) من طريق سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء، ولم يسمع منه.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٨) والحاكم (٢/ ٣٨١) وفي سنده طلحة بن عمرو ليس بمحمود، وبه غمز الذهبي في سنده وقال في «التلخيص»: «طلحة بن عمرو قال أحمد متروك»

ذهاب العلم ذهاب العلماء أو عدم الإستفادة منهم وجمع النَّاس عليهم، المؤدي واحد، فلذا كان التحذير من المجالسة للعلماء أو التعلم منهم جريمة في حقِّ الدِّينِ والنفس والمجتمع ككل، فلا يقُدم على ذلك إلا كل شقي، هذا مما لا ينازع فيه عاقل، فضلاً عن ديِّن.

وإنَّما وقع النزاع مع الخصوم في إضفاء قداسة العالم على مبتدع لكونه تميَّز بنوع خير، فوقعت الآفة والمفسدة ودخلت على من دخل عليه التلبيس فقامت الفتنة هذا محل النزاع، وهو الذي كتبنا من أجله، والله المستعان.

فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أُشِيعَ عَنْهُ أَنَّهُ عَالِم صَارَ عَالِمـًا، كلا!

ومن هنا كمنت أهمية التأليف في هذا الباب.

إنما الْعَالِمُ من اتبع السُّنَنَ، وإلاَّ فَثَمَّ أُنَاسٌ بَرَزوُا فِي عِلمٍ، أو سَبَقُوُا في طَلَبِه، أو تَمَيَّزوا في عِبَادةٍ وَزُهْدٍ وَكَرَمٍ وَسِيَادةٍ وَبَعْضِ خِصَالِ الخَيْرِ، وما أَكْسَبَهُمْ ذَلكَ الوِسَامَ الشَّرِيفَ العَظِيمَ المَعْرُوف الوَصْفِ ب«عَالِم».

وَاعْلَمْ – عَلمنِي الله وَإِيَّاك – أنَّ لفظ «عَالِم» أعلى بِكَثِيرٍ مِنْ لَفْظِ «مُفَكِّر»، «مُنَظِّر»، «مُحَلِّل»، «صَاحبُ خَوَاطِرِ إِيمَانِية»، «دُكْتُور» .... على خِلَافِ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ الْعَوَامِّ، بَلْ جُلَّ هَذِه الألفَاظُ غَالِبِها ألفَاظٌ مُحْدَثَةٌ إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الشَّرِيعةِ الإِسْلَامِيةِ.

فالألفاظُ الإِسْلَامِيةُ التي كانت عند السَّلَفِ: «عَالِمٌ»، «إِمَامٌ»، «مُحَدِّثٌ»، «حَاكِمٌ»، «حَبْرٌ» ... .

وَقد أُزِيلَت هَذِه الألقَابُ– فِي كَثِيرٍ من الْأَحْيَانِ– مَعَ مَا أُزِيلَ مِنْ ألفاظ غُرِّبَت؛ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَثَمَّ عَالِمٌ، لكن ليس عَالِمـًا بالشَّرعِ، وإنما عَالِمٌ بأشياء أخري: عَالِمٌ فِي الطِّبِ ، عَالِمٌ فِي الرياضة، عَالِمٌ فِي الذَرَةِ، عَالِمٌ فِي الهَنْدَسةِ، فِي الكِيمْياءِ .... الخ.

وحتى يَصِلَ إلى هذه المرتبة فِي فَنِّهِ، لا بُدَّ مِنْ تحصيل أصول وفروع في علمه هذا، ولا بد من شروط وضوابط ليُسَمَّي عَالِمـًا في هذا الفَنِّ أو العِلمِ، ويَتَكَلمُ في ذَلك أَهْلُ الاخْتِصَاصِ بكلِّ عِلمٍ.

والذي أعْنِيهِ هُنَا:الْعَالِمَ المَمدُوحَ الذي إذا أطْلِقَ في الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وأقوالِ أَهْلِ الْعِلْمِ بدين الإسلام، وإليه تَنصَرفُ جميعُ نصوصِ المَدْحِ والثَّنَاءِ التي في كِتَابِ الله وَسُنَّة رَسُولِهِ وَأَقْوالِ عُلَمَاءِ الأمَّةِ؛ «**العالمَ بدينِ الإسلامِ بشَرِيعته**».

وهذا هو الذي يدور الحديثُ عليه في هذه الرِسَالةِ.

فكم يحصل مِنَ الشَّرِّ من عدم معرفة العلماء، أو معرفتهم مع الإهمال في ذكر حقوقهم وَالْجَفَاءِ عنْ التأدبِ مَعَهُم، فإنَّ هَذا يَمنَعُ مِنْ نَشْرِ ثَمَرةِ الْعِلْمِ الذي يَحمِلُهُ في النَّاسِ، فَلا يَتَمَكنُ مِنْ الإصْلاحِ.

فَنَشْرُ التَعْرِيفِ بالعُلَمَاءِ وَذِكرُ صِفَاتِهِم في النَّاسِ هو سَببُ تَعْرُّفِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مَنْ النَّاسِ على أئمتهم، فَيُؤدُّونَ حُقُوقَهُم وَيَتَأدَبُونَ مَعَهُمْ، ولا يَغتَرُونَ بكثرة صِيام وصَلاةٍ وقراءةِ كما اغْترَّ مَنْ اغْتَرَّ بالخوارج قديمـًا،ولا بالعِلمِ كَما أغْترَّ مَنْ اغْتَرَّ بالقَدّريَّةِ قديمـًا فَلَزِمَهُم، ومِنْ ثَمَّ الوُقوعُ في المَحْذُورِ ...

وفي الرِسَالةِ دَعوةٌ إلى التَحَلِّي بِصِفاتِ العُلَماءِ وَنَشْرِ ما كانوا عليه مِنْ خَيْرٍ قَدِيمـًا.

فالله تعالى أسألُ أن ينفعَ بكتابنا هذا – على صغر حجمه – ويباركَ فيه وَيفتحَ به أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا.

وأن يجعله خالصـًا صوابـًا، ولا يجعل لأحدٍ فيه شيئـًا.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمهيد لتصحيح المفاهيم في ذلك

بسببِ عدم إدراك التَّمْيِيزِ بَين الْعُلَمَاء و مَنْ لَبِسَ لِبَاسَهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وقع الْخَبْطُ وَالْخَلَلُ؛ فَوجدتُ فَوْضَى علمية بِسَبَبِ دُخُولِ مَنْ لَيْسَ من الْعُلَمَاء فِي زُمرتهم عِنْدَ الْعَامَّة.

وإنَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُطْلَقَ عليه لفظ «الْعَالِمِ» في هذا الزَّمَانِ، وأقولها بكل صراحة: قَلِيلٌ جِدًّا، ولا نبالغ إن قلنا: نادر.

فللْعَالِمِ صِفَاتٌ قد لا ينطبق كَثِيرٌ مِنها عَلى أكثر مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْعِلْمِ الشرعي الْيَوْم.

فليس الْعَالِمُ من كان فَصِيحًا بَلِيغًا، بَلِيغًا فِي خُطْبَتِهِ، بَلِيغًا في محاضراته، وَفِي قوله إذا تَكَلَّمَ[1]**، فقد يكونُ كَذَلِك وهو جَاهِلُ الْقَلْبِ والعَمَلِ.**

---

(١) ففي صحيح البخاري (٥٧٦٧) عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ المَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ: إِنَّ بَعْضَ البَيَانِ لَسِحْرٌ**».

فلو كانت الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ وَحُسْنُ الْبَيَانِ تجعلُ المرءَ عالمـًا، لكان هذان أحق بوصف الْعُلَمَاء مِنْ كَثِيرٍ مِنْ الصَّحابةِ، والواضح أنَّهما لم يتصفا بالعلمِ بِالشَّرْعِ.

وقد كان الكُفَّار من أهل الفصاحة والبلاغة، وما أكسبهم هذا الوسام.

وقد أخرج أحمد (١/ ٢٢) وعبد بن حميد (١١) وغيرهما من طريق مَيْمُونٍ الْكُرْدِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ؛ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَيَعْمَلُ بِالْجَوْرِ**»، واللفظ لعبد بن حميد وإسناده جيد مرفوعـًا، إلا أنَّ الدارقطني في «العلل» (٢/ ١٧٠) صَحَّحَ وقفه على عمر، ولا اشكال، فهو خليفة راشد، أُمرنا باتباع سنته.

=

وليس علامة الْعَالِمِ أن ينفعَ الله به غيره من النَّاسِ بِنُصْحٍ في باب من الأبواب بتَرْكِ مَعْصِيَةٍ، أو بحَمْلٍ على طَاعَة أو نشر خير مُعَيَّنٍ على يديه....

وإلا فالْقُصَّاصُ الَّذِينَ يَكْثُرُ فيهم الْكَذِبُ كم يَحْمِلُونَ النَّاسَ على طَاعَة، وكم لدروسهم مِنْ نَفْع، ومع ذلك كم يقولون من بَاطِل وكَذِب؛ حتى قال أَحْمدُ بن حَنْبَل: «ما أنفعَ الْقُصَّاص لِلْعَوَامِّ، وإن كان عَامَّة ما يُحَدِّثُونَ به كَذِبا».(١)

=

ولفظ الموقوف عند الفريابي في «صفة النفاق» (٢٦) بسندٍ حَسنٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أَصَابِعِي هَذِهِ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُنَافِقُ الْعَلِيمُ، قِيلَ: وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُنَافِقُ الْعَلِيمُ؟ قَالَ: عَالِمُ اللِّسَانِ جَاهِلُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ».

وأخرج الفريابي في «صفة النفاق»(٢٣) بسندٍ قوي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**».

فلو كان علم اللسان والكلام بالحكمة يعطي الرجل وصف العالم؛ لما حُذِّر ممن هذا وَصفه، فهو وإن كَثُرَ علمه بالفصاحة والبلاغة والبيان، لكن لا يُوصَفُ بوصف عالم، الْعِلْمِ الذي يُمْدَحُ المرءُ به في الكِتَابِ والسُّنَّة ويُنتفع به أحسن الانتفاع، فَتَنَبَّهْ.

وقد كان عمران بن حطان الخارجي المذموم شاعراً فصيحاً، فبماذا نفعه يوم أنْ مَدحَ ابن مُلجم عَلَىَ قَتْلِه لعلي بن أبي طالب ﷺ أمير المؤمنين الخليفة الراشد الربَّاني؟!.

وليس العالمُ الذي له حُجَّةٌ يَلحَنُ بها فَيَغْلبُ الخَصمَ وَيُنَمِّقُ العِبَارةَ فيظفرُبالخَصْمِ وَيُؤثِّرُ عَلى القَاضي.

وإلا فالمحامي الفاسقُ الذي يَقْلِبُ البَاطلَ حَقاً أمَامَ القاضي عَالِمٌ إذاً، وليس الحَقُّ كذلك، وقد قال رسول الله ﷺ «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا» أخرجه البخاري (٢٦٨٠) ومسلم (١٧١٣).

ومعنى أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ: أي أفْطَنُ وأفْصَحُ ببيانِ حُجَّتِهِ وإظْهَارِ أنَّ الحَقَّ له.

(١) فانظر سؤالات ابن هانئ النيسابوري (١٨٨٠).

وأعنى بالْقُصَّاص:

الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ النَّاسَ بما يُرَغِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ويُزهِّدهم في الدُّنْيَا ، لكن يَذْكُرُونَ الْقَصَصَ الْمَكْذُوبَةَ الغيرَ الصَّحِيحَةِ، يَخْتَلِقُونَها، أو يُحَدِّثُونَ بها دُونَ مَعْرِفَةٍ بِصِحَّتِهَا من ضَعْفِهَا، ويُحَدِّثُونَ بغير الثَّابِتِ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ والعُلَمَاءِ.(١)

---

(١) وقد نَبه مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ على ذلك، ففي صحيح البخاري (٣٥٠٠) عن مُحَمَّد بْن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلاَ تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا... الحديث.
فبينَّ أنَّ أولئك الذين يحدثون عن رسول الله ﷺ بما لم يقله من الجُهَّال، ليسوا من الْعُلَمَاءِ حتى لا يَغْتَرَّ النَّاسُ بهم، ولذلك حَذَّرَ السَّلَفُ من الجلوس لهؤلاء والإستماع إليهم، وما أكثر هذا الضرب في النَّاسِ، الَّذِينَ يُعَظِّمهم النَّاسُ على أنهم عُلماء، وهم – في الحقيقة – من الْقُصَّاصِ، الَّذِينَ لبسوا زِيَّ الْعِلْمِاء وتكلموا في النَّاسِ بلسان الْعُلَمَاءِ واعتبرهم العَامَّةُ علماءَ سُنَّة وهداية، وهم القُصَّاص والله المُستعان.
فأخرج مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٢٠) بسند صحيح عن عَاصِمٌ ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا: «لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا»، قَالَ: «وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ».
وأخرج ابن وضاح في (البدع) (٤٢) بسندٍ صحيح عن نافع مولى ابن عمر، قال: «لَمْ يُقَصَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا عُمَرَ ، وَلَا عُثْمَانَ ، وَأَوَّلُ مَا كَانَ الْقَصَصُ حِينَ كَانَتِ الْفِتْنَةُ»... نعم هذا سوقهم وموطن ظهورهم.
وأخرج ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩١) بسندٍ صحيح عن عُقْبَةَ بْنِ حُرَيْثٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، وَجَاءَ رَجُلٌ قَاصٌّ وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «قُمْ مِنْ مَجْلِسِنَا»، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ، فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى صَاحِبِ الشُّرَطِ: «أَقِمِ الْقَاصَّ»، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَقَامَهُ.
=

فليس كلُّ رجلٍ يدعو الْعَوَامَّ، فَيُعجَبونَ به، وتَرِقُّ قلوبهم وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، يكون على السُّنَّة، وَيُطلقُ عليه عالمٍ؛ وَإِلَّا فإنَّ الْقُصَّاص وأهلَ الْبِدَعِ يفعلون ذلك وربما أفضل مما يصنع السُّنِّيُّ، فينفع الله بهم الدِّينَ في جانب وإن كانوا يهدمون جوانبَ؛ فليس كل من نفع الله به الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ صارَ عالماً؛ وقد أنكر شيخُ الإسلامِ على هؤلاء تتويب أهل المعاصي، لكونهم يجرونهم بعدُ إلى البِدعِ، وسيأتي نص كلامه.

وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ عن رجل نَفَعَ اللهُ بِهِ فِي نَحْر المشركين، نكايةً للمسلمين؛ وَاسْتَحْسَنَ النَّاسُ صنيعه و.... ثم قتل نفسه (هذه خاتمته)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «...**وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**».(١)

فلو كان عَالِمـًا، ما صَنَعَ مَا صَنَعَه، ولا قال رَسُولُ اللهِ ﷺ ما قال عنه، بلْ هُوَ مَعَ إثخَانه في الكُفَّار، ونفع المسلمين والْإِسْلَامَ به، قال ما قال رسول الله ﷺ في شأنه، ومات وهو مرتكبٌ لكبيرة وعلى سُوءِ خَاتِمَةٍ؛ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

كما لا يكونُ الرجلُ عَالِماً بكثرة الْبُكَاءِ وصَوْتِه الْحَسَن في القرآن.

ففي«الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ لابن وضَّاح» (٣٣) بسندٍ صحيح عن عَبْدِاللهِ بْنِ الْخَبَّابِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ قَوْمٍ نَقْرَأُ السَّجْدَةَ

=

وأخرج عبد الرزاق(٥٤٠١) بسندٍ صحيح عن سَالِمٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، كَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيَلْقَاهُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَيَقُولُ: «أَخْرَجَنِي الْقَاصُّ»؛ وراجع كتابي «**عقيدة المسلم الصغير**»، ففيه بيان سبب كراهيةِ السَّلَفِ للقُصاصِ.

فالقُصاص والمُذَكِّرينَ هؤلاء ينفعون النَّاسِ أحيانـًا، لكن غالب ما يقولون كذب، كما أشار بعضُ أهل الْعِلْمِ؛ «فما أَحْوجَ النَّاسِ إلى قَصَّاصٍ صَدوقٍ» كما قال الإمام أحمد، وقد حكاه ابن الجوزي «في القصاص والمذكرين» ص٣٥٧.

فإن القُصاص يَرْوُوْنَ لِلْعَوَامِّ الأحاديثَ المُنْكَرةَ، فكيف يُقال هم من العُلَمَاءِ؟.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

وَنَبْكِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَبِي، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ هِرَاوَةً لَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَا لِي مَا لِي؟ قَالَ: أَلَمْ أَرَكَ جَالِسًا مَعَ الْعَمَالِقَةِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا قَرْنٌ خَارِجٌ الْآنَ».

فلو كَانَ الْمَرْءُ بِالذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالْبُكَاءِ عَالِمـًا، ما ضَرَبَ خَبَّابُ ﷺ وَلَدَهُ - وَالْحَالَةُ هَذِهِ - وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

بل ليس الْعَالِمُ من كثر علمه - إن لم يكن موافقاً لِلسُّنَّةِ والْهَدْيِ -.

فقد كان اليهودُ أَهْلَ كِتَابٍ وعلمٍ، وَمَا نَفَعَهُمْ يوم أن حَرَّفُوا كِتَابَ اللهِ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنـًا قَلِيلاً، وَاتَّخِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.

وقد كان الْقَدَرِيَّةُ يَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ يطلبونه[1] وَذَمَّهُمْ عُلَمَاءُ السُّنَّة، وما اعترفوا بهم ولا وَصَفُوهُمْ بأَنَّهُمْ عُلَمَاء أبداً.

وقد كان عمرو بن عبيد[2] على شَيْءٍ من العِلْم، ومع ذلك ذمَّه السَّلَفُ، ولمَّا عظَّمه المنصورُ وقال فيه شعراً.

قال الذَّهَبِيُّ: «اغْترَّ بِزُهْدِهِ وَإِخْلاَصِهِ، وَأَغفلَ بِدْعَتَهُ».

وليس الْعَالِمُ المرجو مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ، إذالم يكن يعملُ بعلمِهِ.

وإلا ففي صحيح البخاري (٣٢٦٧) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟**

---

(١) فقد قال يحي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري لعبد الله بن عمر عن معبد الجهني القدري ومن معه: « إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمِ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ.... »أخرجه مسلم (٨).

(٢) وكان زاهداً عابداً قدري كبير المعتزلة وأولهم، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٠٤) روي عنه الحمادان وابن عيينة والقطان وأضرابهم وتركه غير واحد بعد فَلَمْ يَرْوِ عَنْهُ وذمَّه.

أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

بل يَخْدُشُ فِي وَصْفِ الرَّجُلِ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ؛ أنْ لا يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ.

فأخرج ابن ماجه في سننه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لشواهده [١]

عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: «**ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ**» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟**».

فهؤلاء مع حَمْلِهِمْ الكِتَابَ – التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ – التى كتبها الله بيده – وَفِي نسختها هُدًى وَرَحْمَةٌ، والتي أَنْزَلَهَا على رسولٍ من أُولِي الْعَزْمِ من الرُسل، ما صَحَّ وَصْفُهُمْ بأَنَّهُم عُلَمَاء؛ لأنهم ضَلُّوا – وإن حَمَلوُا علمـًا– لِكَوْنِهِمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا في أيديهم من الكتاب؛ بل شبهوا بالحمير والكلاب في كتاب الله.

فالعلم أو السِّيَادَةُ أو الزُّهْدُ، أو التَّحَلِّي ببعض صفات الخير ونحو ذلك لا يكسب المرء ذلك الْوِسَامَ إذا لم يكن مُتبعـًا لِطريقةِ السَّلف، مُتحَلِّيـًا بصفات العَالِمِ بحَقٍّ، ويُجنى الشَّنار مَنْ وصَفَه بذلك.

وليس بلازم أن يكون الْعَالِمُ له كتب مؤلفة، ولا ترفع الْكُتُبِ صاحبها، إلا إذا كانت كتباً في السُّنَّة، موافقةً لهَدْيِ سَلَفِ الأمَّةِ.

فقد أَلَّفَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ– من رؤوس المعتزلة– كُتبـًا ينشر فيها ضَلَالَهُ وانْحِرَافَهُ، وأَلَّفَ الْحَارِثُ الْمُحَاسَبِيُّ كُتبـًا، قال عنها أبو زرعة: بِدَعٌ وضلالات.

---

(١) التي بينتها في كتابي«الفوائد النيرة»(١٥٣٢)، والحديث عند ابن ماجه برقم (٤٠٤٨)

وأَلَّفَ عَمْرو بْن عُبَيْدٍ القدري المعتزلي كتاب «العدل» و«التوحيد» وكتاب «الرد على القدرية» - يريد السُّنَّة – وهي كتب أوابد وأباطيل.

وأَمْثَالُهُمْ كَثِيرٌ.

فليس كل من أَلَّفَ صار بتأليفه عَالِمـًا، ولا كلُ مَنْ كَتَبَ، كَتَبَ، فقد يكتب الْمَرْءُ ما يُسْخِطُهُ عِنْدَ الله إِذَا لَمْ يَكُنْ ما كتبه مُوَافِقًا لِلسُّنَّةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، والْعَالِمُ مَنْ اتَّبَعَ السُّنَنَ، كما أشار البربهاري رحمه الله.

وَقَدْ أَوْعَبَتْ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إيعَابًا فَمَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ وقد تقدم[1].

وها هم أهل البدع يفسدون كتب أهل السُّنة بالتعليق عليها، فماذا؟

فليس كل مَنْ طَبَعَ كتابـًا عليه اسْمُهُ، أو حَقَّقَ مخطوطة، أو استدرك بعضَ الأَخْطَاءِ على الأَفَاضِلِ صَارَ بِذَلِكَ عَالِمـًا، كَلَّا، نَعَمْ هذا عِنْدَ الْعَامَّة: عالمٌ، لكن عند أهل التَّخَصُّصِ وَالْمَعْرِفَةِ ليس كذلك ما لم يحقق شروطـًا .

فقد يكتب المرء حقـًا، يَرتَفِعُ به عِنْدَ الله، وقد يكتب بَاطِلاً، فَيَسْخَطُ الله به عليه؛ فكيف يُوصَفُ الْمَسْخُوطُ عليه بأَنَّه عالم؟!

وليس من شرط الْعَالِمِ أن يكون سيداً في قومه أو أميراً أو وزيراً أو رئيساً، لا، ولو لبس مُسوحَ الْعُلَمَاء، فَتَنَبَّهْ.

فكم كان في النَّاسِ سادة وقادة وما كانوا عُلَمَاء، بل ربما أَهْلُ بِدَعٍ وفِتَن، وقد كان أبو جهل سيداً فِي قَوْمِهِ وكذا أبو سُفيان يومَ أنْ كان كافِراً.[1]

---

(١) وأشار إلى ذلك ابن تيمية في«مجموع الفتاوي» (١٠/ ٦٦٥) .

ورسول الله ﷺ في بداية الدعوة كان «جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ ...»[٢].

فَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي دؤاد وَبِشْرٌ الْمَرِيسِيُّ و حُكَّام الْجَورِ وَالظُّلْمِ والَّذِينَ كان هلاكُ الْأُمَّةِ على أيديهم كانوا سادة في النَّاس، وما أكسبهم ذلك هذا الوسام الشريف «عَالِم».

وَلَا يَخْفَى مَا كان عليه صَبِيغِ بْن عِسْلٍ، الَّذِي كان يَسْأَلُ عَنِ مُتَشَابِهَةِ القرآن، يُشْكِلُ بِهِ عَلَى الْقَوْمِ.

وَقَدْ حَسَرَ عُمَرُ رضي الله عنه عن ذراعيه فلم يزل يَجْلِدُه حتى سقطت عِمَامَتُهِ، فَقَالَ عمر: «وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أَلْبِسُوهُ ثِيَابَهُ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى قَتَبٍ، ثُمَّ أَخْرِجُوهُ حَتَّى تَقْدِمُوا بِهِ بِلَادَهُ، ثُمَّ لِيَقُمْ خَطِيبًا، ثُمَّ لِيَقُلْ: إِنَّ صَبِيغًا طَلَبَ الْعِلْمَ فَأَخْطَأَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَضِيعًا فِي قَوْمِهِ حَتَّى هَلَكَ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ» [٣].

فليس كل مَنْ سَادَ قومه، ولا مَنْ أُشِيعَ عَنهُ: أنَّه سَيدٌ، يصير بذلك عَالِمًا؛ فَتَنَبَّهْ ولا تُسْتَخَفَّ.

فالحزبيون وغيرهم مِنْ أهل الْبِدَعِ يُشِيعُونَ عَنْ أكابرهم وَسَادَاتِهِمْ أنهم عُلَمَاء؛ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ولا يَرُوغُ ذلك إلا على حُدَثاءِ الأسْنَانِ سُفَهَاءِ الْأَحْلَامِ، الَّذِينَ تَمْتَلِئُ منهم الأرض فِتَنًا، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ؛ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

=

(١) فإنَّ أَبَا بَكْرٍ لمَّا قال سلمانُ وصهيبُ وبلالُ مقالةً لأبي سُفيان - وكان كافراً - قال أبوبكر رضي الله عنه لهم: «أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟» أخرجه مسلم (٢٥٠٤).

(٢)كما في صحيح مسلم (٨٣٢).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» ص٤٨١ وغيره بسندٍ صحيح.

لقد عَدَّ الْعَوَامُّ الْعُلَمَاءَ: كلَّ مَنْ يقف موقفَ صِدْق، بكلام يزعق به يَصْدَعُ فيه بشبه السُّنَّة ضد حاكم ولو عَلَناً غير سرٍ [١]، يَعُدُّونَ ذلك عَالِماً [٢]؛ وليس هو كذلك.

---

(١) وقد أرشد النبى ﷺ إلي نُصْح السلاطين سراً، فقال: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُكَلِّمْهُ بِهَا عَلَانِيَةً، وَلِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»؛وهو حديث حَسنٌ خرجته في غير هذا الموطن.

(٢) فانظر إلى«وحيد بن عبد السلام بالي» الذي ألف كتاباً كاملاً «علماء وأمراء» جمع فيه غثاءً، ونسب إلى العُلَماءِ ما لمْ يصح نسبته إليهم، فَقَمَّشَ وَحَوَّشَ، فجمع قصصاً من المفترض أن تكون حصلت بين علماء وأمراء حتي يُناسب عنوان المُؤَلَّف، لكن لمَّا غَابَ عنه المنهج في الباب الذي كتب فيه، سَمَّى المبهمين والمجاهيل علماء بصرف النظر عن وهاء وضعف جُلِّ ما أتي به، مما حشا به كتابه المذكور.

ففي القصة رقم (٤) يقول: «بين أبي حازم وسليمان بن عبد الملك»، وأبو حازم لا يُعرف!!

وفي القصة (٥): «بين عالم وسليمان بن عبد الملك»!! كذا صار المُبْهم عالِمـًا!

وفي رقم (٦): «بين غلام وعمر بن عبد العزيز»، الغلام الذي لا يُعْرف صار عالمـًا؟!

وفي رقم (٢١): «بين صالح بن بشير المُري القَصَّاص والمهدي»، وصالح ضعيف، كما بينت للقراء ذلك في الرد عليه في ذيل كتابي: «نصح الحكام بين الغلو والتفريط».

انظر كيف وصف المجاهيلَ والمُبهمينَ وَالْغِلْمَانَ وَالضُّعَفَاءَ بأنهم علماء بمجرد أنّهُم وافقوه في نُصحِ الحُكَّامِ على الملأ، لإعجابه بمواقفهم سَمَّاهُمْ: «عُلَمَاءَ»، مع أنَّ هذا لم يَثبُت عنهم أصلاً، بل لم يصح ما دَوَّنه فِي الكِتابِ إِلَّا في النادر وما هو عليه حُجَّة، لا له لو كان يفقه!!

بل لو صَحَّ عنهم أنَّهم علماء، لا يحتج بهم، إنَّما يحتج لهم.

فهل هذا الرجل هكذا عَرَفَ مَنْ هُمْ الْعُلَمَاء وَعَلِمَ علاماتهم، فضلاً عَنْ أنْ يُنْسَبُ هُوَ إلى الْعِلْمِ أصلاً؟!

ومن أفاعيله الآثمة:

أنه لما قامت ثورتهم المشئومة خرجوا على حاكمهم وطعنوا عليه ، ثم ندموا بعد - إن أحسنا الظن -، كحال حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام الذين قتلوا أميرهم الذي قبله ... يا ويحهم.

طفق الأستاذ وحيد يقفز هنا وهناك في البلاد شرقـًا وغربـًا مدعيـًا أنه والعلماء-كذا- اجتمعوا واتفقوا على تجويز الإنضمام للحزب للمصلحة الدينية والدنيوية ... !

=

وَهَذِهِ المَسْألةُ ليْسَتْ بِلازِمَةٍ.

بل مَنْ جَبُنَ أَوْ ضَعُفَ أَوْ خَافَ مِنْ سَيْفِ الحاكم، فَلَهُ عُذْرٌ أنْ يَسْكُتَ وَيُصْلِحَ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ، إلا إذَا لَمْ يَقُمْ بالحَقِّ غيره، فَلَا يَسَعُهُ السُّكُوتُ.

فللنُصْحِ لِلْحُكَّامِ ضَوابطُ ذَكَرْتُهَا فِي كتابي الْمُسْتَقِلِّ المُشَار إليه آنِفًا.

والعَامةُ يعدُّون كل مَنْ جَهَرَ على حاكمه علنًا عالِمًا، حتى ولو كان مُجرمًا يُتَاجرُ بِالدِّينِ.

وبعضهم – وإنَّا لله – يعتبر أن كل مَنْ لَبِسَ غُتْرةً على رأسه أو عِمَامَة، مع طول لحية وَقِصَر ثيابٍ وكلامٍ في الدِّين

=

كذا حاصل قوله.

أولا يعلم – أولئك – أن البدع والحزبية لا مصلحة فيها، لا في دين ولا دنيا، ولا يقول العلماء بها بل يحاربونها، ولذا حذر السلف – الذين ينسب نفسه إليهم – منها.

وما أدري من العلماء الذين يقصدهم، أهم ابن باز والألباني والوادعي والعثيمين وأصحاب اللجنة الدائمة ونحوهم، فيفتري عليهم كما أفترى على بعضهم وتقوَّلَ عليهم.

أم هم المناوءون لهم من أهل البدع الذين أسماهم – المسكين – علماء، وهم أهل بدع وضلالات تَحطُم بعضها بعض، فلبَّس على الناس – كعادته – فدخل الناس في البدع أفواجًا وحاربوا أهل السُّنة ... .

أيفعل الجهل بمعرفة العلماء في صاحبه هكذا ويوقعه في ورطة الكذب والافتراء؟!

لو كان يعرف أقدار العلماء وحقوقهم ما كذب على الشيخ ربيع المدخلي ومحمد بن أمان الجامي، ولا أفترى عليهما – حتى تقمَّمه منه متعصِّبوه فردَّدوه – ، وقد أثنى عليهما جهابذة العلم في زماننا ممن لو بصق أحدهم على مَنْ لا يدانيه وحيد بالي لأغرقه، فكيف بوحيد؟

حقًا إنه وحيد غريب!!

[١] بتقعر وثرثرةٍ[٢]، أو رُؤِيَ على شاشة تلفاز[٣]، أو صار الْعَامَّة يستفتونه فَيُجِيبُ، أو رؤي على منبر – لَا سِيمَا إذا عَلَا صَوْتُهُ وَحسن إلقاؤه – هذا هو الْعَالِمُ الَّذِي لا يُشَقُّ له غُبَارٌ عِنْدَ الكثير من الْعَامَّة؛ وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله.

وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّ الْعَالِمَ:الْمُوَظَّفَ الْمُرَتَّبَ إِمَامًا فِي المسجد، أو مَنْ كان مُؤَذِنـاً، وآه آه لو كان صوته حسنـاً يُقَلِّدُ أصوات المؤذنين والقرَّاء، ولو بتكلف يُغَنِّي الناس بالقُرآن غِناءً[٤]، فقد شَاخَ في العِلْم، ولا يُطْلَقُ عَلَيْهِ إلاَّ الشيخ فُلَان، فَيُسْتَفتى!!

وبعضهم يعتبر الْعَالِمَ من اشتهر أنَّه عَالِمٌ، ولو كان يجاهر بالْبِدَعِ ليلَ نهار، جَاهِلاً مفتوناً.

«وبذلك انخدع الْعَامَّة بالكثير من الفصحاء والكُتَّاب غَيْرِ الْعُلَمَاء، فأصبحوا محل إعجابهم، فتري العامِّيَّ إذا سَمِع المتعالم مِنْ هَؤُلَاءِ يُجيش بتعالمه الكذّاب

---

(١) وقد كان ذو الخويصرة الذي اعترض على رسول الله ﷺ وَنسبَهُ إِلَى الْجَوْرِ، كَثَّ اللِّحْيَةِ ويتكلم بنوعٍ كلامٍ أشبه كلام الكبار العدول، وهو خَارِجِيٌّ جَلدٌ، هو أَصْلُ الخوارجِ، يخرج من ضئضئه كِلَابُ النَّارِ، وحديثه في صحيح البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) وتقدم قول عمر رضي الله عنه: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُنَافِقُ الْعَلِيمُ».

(٣) وقد رأينا على شاشات التلفاز أُنَاسـاً يُنسَبونَ إلى المشيخة بعمامة ولحية يُجرِّحُ أصحابَ النبي ﷺ والعُلَماءَ، ويَزدري أَهْلَ السُّنَّةِ؛ ورأينا آخرين يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ رأو جبريل، وأنَ الله تَجَلَّى في المَيدانِ معَ المُتَظاهِرينَ – يكذب على الله ليتبعه النَّاسُ–، ورأينا الخَارِجيَّ القُطْبِيَّ الجَلِدَ الْمُفْتَرِيُّ الكَذِبَ على النَّاسِ وَعَلَى اللهِ وعلى رَسُوله ﷺ، ومع ذلك يَظُنَّه العَامَّةُ إِمَامًا عالِمًا يستفتونه...!!

(٤) وقد قال رسول الله ﷺ: «... **ونَشءٍ يتخذون القرآن مزامير ، يُقَدِّمون الرجلَ ليس بأفقههم ولا أفضلهم يغنيهم غناءً**» وهو حديث حسن، خرَّجته في كتابي «الفوائد النيرة في تخريج أحاديث التذكرة»(١٣)، وهو في رواية أحمد في« المسند» (١٦٠٤٠).

يضرب بيمينه على شماله تعجبًا من علمه وطَرَبِه، بينما الْعَالِمون يضربون بأيمانهم على شمائلهم حُزنا وأسفا لِانْفِتَاحِ قبح الْفِتْنَةِ». (١)

«فَالْعَالِمُ حقا من تَوَلَّعَ بالْعِلْمِ الشرعي، وألَمَّ بمُجْمَلِ أحْكَامِ الكِتَابِ والسُّنَّة، عارفًا بالناسخ والمنسوخ، بالمُطْلَقِ والمُقَيَّدِ، بالمُجمَل والمُفَسَّرِ، واطلع أيضًا على أقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه»(٢)، لا يجتهد في ثوابت الدِّينِ.

يعلم وجوه الْعِلْمِ وتخاريج المسائل، وكيف يُستدل، لا يخالف إجماعًا، ويَتَحَلَّى بما كان عليه الْعُلَمَاءُ، فقيه في القرآن، يعرفُ صَحِيحَ الْحَدِيثِ من سقيمه، عَالِمًا بالأثر بصيراً بالرأي، لَا يَتْبَعُ شَوَاذَّ أقاويل العُلماء، لاَ يُحَدِّثُ بكُلّ مَا يَسمَعُ ، فَضْلهُ أكثر من نقصه، ليس بِصَاحبِ هَوًى، يَخْشَى الله بعلمه،لَا يَعْزُبُ عَمَّا قال السَّلَفُ... .(٣)

---

(١) مثالُ ما أخرج ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٨٥) بسندٍ صحيح عن سُفْيَانِ بْن عُيَيْنَةَ، قَال: «اضْطَجَعَ رَبِيعَةُ مُقَنِّعًا رَأْسَهُ وَبَكَى فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: «رِيَاءٌ ظَاهِرٌ وَشَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ وَالنَّاسُ عِنْدَ عُلَمَائِهِمْ كَالصِّبْيَانِ فِي حُجُورِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا نَهَوْهُمْ عَنْهُ انْتَهَوْا وَمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ ائْتَمَرُوا».

وهذا تجده في أيامنا منطبقًا تمامًا على المُتعصبين لشيوخهم وعلى الحزبيين، لا يخيل إلَّا على أمثالهم.

(٢) «من هم الْعُلَمَاءُ» لعبد السلام بن برجس«ص٣٤-٣٥»، وأخذ بعضه من «جامع بيان الْعِلْمِ وفضله» (٢/ ٢١) في بَابُ: مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعِلْمِاء.

(٣) ومن انحراف المرء وضلاله بل وتلبيسه وتدليسه: أن يرفع قدر مبتدع، مع تَيَقُّنِهِ بمخالفته للسَّلفِ، لكونه بزَّه بشيء من الْعِلْمِ أو الاستنباطِ، فيعترف له بالْعِلْمِ مع مخالفة الرجل لما أجمع عليه السَّلَف، واتباعه للبِدعِ، وذلك بسبب سوء الطوية وميوعة المنهج السلفي عنده أو الجهل جملةً به، والعياذُ بالله.

=

وقد قال بعضهم لشيخ الإسلام رحمه الله، كما في مجموع الفتاوى[١] :

«نَحْنُ نتوب النَّاسَ فَقُلْت – أي شيخ الإسلام –: مماذا تتوبونهم؟ قَالَ: مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالسَّرِقَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَقُلْت: حَالُهُمْ قَبْلَ تتويبكم خَيْرٌ مِنْ حَالِهِمْ بَعْدَ تتويبكم؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فُسَّاقًا يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَيَتُوبُونَ إلَيْهِ أَوْ يَنْوُونَ التَّوْبَةَ فَجَعَلْتُمُوهُمْ بتتويبكم ضَالِّينَ مُشْرِكِينَ خَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ يُحِبُّونَ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ، وَيُبْغِضُونَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَبَيَّنْت أَنَّ هَذِهِ الْبِدَعَ الَّتِي هُمْ وَغَيْرُهُمْ عَلَيْهَا شَرٌّ مِنْ الْمَعَاصِي».

وقد عدَّ بعض العوام العالم مَنْ كَثُر أتباعه، ويلزمهم أن يقولوا إن ابليس إمام العلماء، فقد استكثر واستكثر، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قدِ اسْتَكْثَرْتم مِّنَ الإِنسِ﴾، والكثرة ضُلّال في كتاب الله، فكيف تكون علامة العَالم كثرة أتباعه؟!

هذا ليس بلازم وإلَّا فالنبيُّ نوح عليه السلام مَا آمَنَ مَعَهُ إلَّا قليلٌ بعد ألف سنة إلَّا خمسين عامًا.

فلا يُستغرب من الزحام عند قصَّاص أو غير مؤهَّل، والعالم بحق قد صُرف الناس عنه وكلاهما في بلدة واحدة أو في محل واحد، لا سيما في أزمان الفتن وفشو البدع، وتبديل الحقائق، وغياب الوعي.

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسندٍ صحيح عن يزيد بن هارون قال: كان جعفر بن الزبير[٢]– وعمران بن حدير في مسجد واحد مصلاهما، وكان الزحام على جعفر

=

وكم يَنسبُ الجاهلون– أيضًا – أهل البدع إلى الْعِلْمِ، نعوذ بالله من الهوى والزيغ.

(١) مجموع الفتاوى(١١/ ٤٧٢).

(٢)وهو جعفر بن الزبير الحنفي ضعيف الحديث، وَقد كَانَ جَعْفَر صَاحب غَزْو وَعبادَة وَفضل، يَرْوِي عَن الْقَاسِم مولى مُعَاوِيَة وَغَيره أَشْيَاء كَأَنَّهَا مَوْضُوعَة، وَكَانَ مِمَّن غلب عَلَيْهِ التقشف حَتَّى صَار وهمه شَبِيها بِالْوَضْعِ. تَركه أَحْمَد بن حَنْبَل وَيحيى بن معين وغيرهما، متروك الحديث وإن كان صالحاً فِي نفسه.

=

وليس عند عمران أحد، وكان شعبة يمر بهما فيقول: يا عجباً للناس! اجتمعوا على أكذب الناس- يعني جعفراً - وتركوا أصدق الناس - يعني عمران بن حدير.

قال يزيد: فما أتى علينا إلا القليل حتى رأيت ذاك الزحام على عمران وتركوا جعفراً، وليس عنده أحد. (١)

وأخرج ابن عدي في كتابه «الكامل»(٢) في ترجمة جعفر بن الهيثم بسنده عن عَبد الملك قال: سَمعتُ أَبَا حَاتِمٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ: سَمعتُ عُثْمَان بْن الهيثم يَقُولُ: دخلت جامع البصرة فإذا جَعْفَر بْن الزبير قد اجتمع عليه الناس، وَإذا عمران بْن حدير قاعداً وحده، فقلت: يا عجباه ! أكذب النَّاس من قد اجتمع عَلَيْهِ النَّاس، وأصدق النَّاس قاعداً وحده.

وأخرج الحاكم وابن الجوزي في«الموضوعات » وغيرهما من طريق جَعْفَر بْن مُحَمَّدٍ الطَّيَالِسِيِّ قال: صَلَّى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي مَسْجِدِ الرَّصَافَةِ فَقَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَاصٌّ فَقَالَ حدثناأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ قَالَا: حدثنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ حدثنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺمن قال لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُخْلَقُ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا طَيْرٌ مِنْقَارُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَرِيشُهُ مِنْ مَرْجَانٍ وَأَخَذَ فِي قِصَّةٍ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ وَرَقَةً فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَنْظُرُ إِلَى يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ويحيى يَنْظُرُ إِلَى أَحْمَدَ فَقَالَ أَنْتَ حدثتَ بِهَذَا؟ فَقَالَ وَاللهِ مَا سَمِعْتُهُ بِهِ إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ،

=

وقال غندر: رأيت شعبة راكباً على حمار فقيل له أين تُريد يا أبا بسطام قال أذهب فأستعدي على هذا- يعني جعفر بن الزبير- وضع على رسول الله ﷺ أربعمائة حديث كذب .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في«الجرح والتعديل»(٢/ ٤٧٩).

(٢) في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٦١).

قَالَ فَسَكَتْنَا جَمِيعًا حَتَّى فَرَغَ مِنْ قَصَصِهِ وَأَخَذَ قِطَاعَهُ ثُمَّ قَعَدَ يَنْتَظِرُ بِقَيَّتَهَا فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ بِيَدِهِ أَنْ تَعَالَ فَجَاءَهُ مُتَوَهِّمًا لِنَوَالٍ يُجِيزُهُ فَقَالَ لَهُ يَحْيَى مَنْ حدثك بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فَقَالَ أَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَهَذَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا قَطُّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنْ كان لابد وَالْكَذِبُ فَعَلَى غَيْرِنَا، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ؟ قَالَ نعم. قال لم أزل أسمع أَنَّ يَحْيَى ابْنَ مَعِينٍ أَحْمَقُ مَا عَلِمْتُهُ إِلَّا السَّاعَةَ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فَكَيْفَ عَلِمْتَ أَنِّي أَحْمَقُ؟ فَقَالَ كَأَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ غَيْرَكُمَا كَتَبْتُ عَنْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَحْمَدَ بْن حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ غَيْرِ هَذَا. قَالَ فَوَضَعَ أَحْمَدُ كُمَّهُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ دَعْهُ يقوم. فقام كالمستهزىء بِهِمَا.[1] وإن كان في صحة ذلك نظر ولكن ليس من المستبعد وقوعها، فما أسرع الناس إلى البدع!

وكم ترى توجُّعـًا وعجبـًا وأنت ترى الجموع الهائلة من الناس عند قَصَّاص أو مبتدع، لا يساوي في العلم شيئـًا، وبل يُقَبِّلون الأيادي ويجلسون عند قدمه كأن عل رؤسهم الطير، وهو لا يساوي في العلم دستجة بقل، صعفوق من الصعافقة غِرّ، ومع ذلك تجدهم لا يصدرون إلا عن رأيه، ويسألونه وينتظرون مَقدَمه إجلالاً وتقديراً، وقد أهملو أهل العلم، الذين ربما كانا في محلَّة واحدة!

---

(١) إلا أن القصة على شهرتها قد أخرجها الحاكم في«المدخل إلى كتاب الإكليل»ص٥٧ والخطيب في«الجامع» (١٥٠٥) وابن الجوزي في«الموضوعات»(١/ ٤٦) وغيرهم عن الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْحَافِظِ قَالَ حدثنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْحَافِظُ قَالَ حدثنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الواحد البلدىٰ قال سمعت جعفر بن محمد الطيالسي فذكرها. وفي إسنادها إبراهيم بن عبد الواحد البلدي لم أعرفه وقد قال الحافظ في«اللسان» (١/ ٣١٥) كلمة الذهبي عنه في«الميزان»:« لا أدري من هو ذا أتى بحكاية منكرة أخاف أن لا تكون من وضعه. ثم ذكر هذه القصة وقال الحافظ في «اللسان» :« وهذا الرجل من شيوخ أبي حاتم بن حبان أخرج هذه القصة في مقدمة «الضعفاء» (١/ ٥٨) له عنه» اهـ قلت«محمد» : ولكن الذهبي سماه إبراهيم بن عبد الواحد البكري، وكأن البكري تصحيف، فالقصة في صحة سندها نظر.

فوا أسفاه على العلم وحرمته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

صِفَاتُ الْعُلَمَاءِ الَّتِي يُعْرَفُونَ بِهَا

صِفَات الْعَالِم بِحَق

إِنَّ الْعَالِمَ الحَقَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ: عَالِمٌ، أعز من الكبريتِ الأحمر، ولا سِيمَا في الأزمان المتأخرة، ولا سِيَّما في زمان أظلنا.

وقد قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**».(١)

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:«إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ(٢)، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ.(٣)

فإذا كان هذا في زمن عافية الأمة، وقد مضى عليهم أكثر من أربعة عشر قرنـًا من الزمان، وكل عام شرٌ من الذي قبله فما بالك بالحال اليوم؟

ولكن الميت لا يشعر بهذا، والله المستعان.

وإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الشَّر، نُدرةُ وُجودِ الْعُلَمَاء أو فَسَادُهُم، حتى صارت الْهِدَايَةُ إلى معرفةِ الْعَالِمِ مِنْ الصعُوبَةِ بِمَكَان.

---

(١) كما في صحيح البخاري (٧٠٦٨) عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

(٢) أي : سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم.

(٣) أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه» بسندٍ حسن.

لِأَنَّ الْمَرْءَ يحتاج إلى علمٍ ومعرفةٍ وبصيرةٍ، حتى يتعرفَ على الْعَالِمِ الحَقِّ الَّذِي يُرتجي بركته.(١)

ومما يُعِينُ على ذلك، معرفةُ صِفَاتِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ لا الدَّعِيُّ الَّذِي يبني مَجْدَهُ بطرائق شَتَّى بعيدة عن السَّيْرِ عَلَى نهج سَلَفِ الْأُمَّةِ الْكِرَامِ ﷺ، كما يفعل الخوارجُ والمتحزبونَ؛ نَجَّانَا الله من أَفْكَارِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ العقيمةِ الْمَغْلُوطَةِ.

ولا ينجيهم ظَنُّهم أنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا، لأنَّ اللهَ تَعَالَى إنَّما تَعَبَّدَنَا بِاقْتِفَاءِ آثَارِ السَّلَف، الَّذِينَ ساروا على نَهْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (الكتاب والسُّنَّة بفهم سَلَفِ الْأُمَّةِ)، لا الأدعياء.

وكما قال عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ لمن قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قال لهم: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ».(٢)

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف].

وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨].

وهذه الأدلة تحث على مراقبة الإنسان دائماً لعمله وقوله، هل هو موافق لسَلفِ الأمة ؟

هل هو على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه أم لا؟ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

---

(١) ولذلك فإنَّ العَاميَّ يضِلُّ عن معرفة الحق بسبب قِلةِ المعرفةِ، فيخبط خبط عشواء، فلا يميز بين الدليل والشُبَه، فيقول: كلٌ يأتينا بدليل فنتحيَّر، وهذه ضريبة جهله يدفعها، عدم التمييز بين الدليل والشبهه ولا بين العَالِم والدَعيِّ.

(٢) أخرجه الدارمي (٢١٠) وغيره.

والْعَالِمُ بِحَقٍّ له صِفَاتٌ في نَفْسِهِ، وصِفَاتٌ في فِعْلِهِ.

أولاً: مِن صِفَاتُ الْعَالِمِ فِي نَفْسِهِ وَفِعْلِهِ:

أن يكون نَصوحـًا لا فَضوحـًا، مُصْلِحًا لا مُفْسِدًا، يَسْتُرُ لا يَفْضَحُ، متى وجد لِلسَّتْرِ مَكَانًـا[1].

فالمؤمن مِرْآةُ أَخِيهِ، إذا رأى عيبـًا أصلحه[2].

يعينُ النَّاسَ على التَّعَلُّمِ، لا على تضيع الوقت و الْعُمْرِ وِالزَّمَانِ، في مهاترات لَا تَعُودُ عَلَى الطَّالِبِ ولا على المجتمع وَلَا عَلَى الْإِسْلَامِ بِنَفْعٍ.

ومن صِفَاتُ الْعَالِمِ الرباني أن يكون فقيهاً حليماً:

قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران:٧٩]: أي حلماء فقهاء.

---

(١) **ولكل مقام مقال:** فمن أخطأ على الملأ، يرد عليه على الملأ؛ ولا يقال حِينَئِذٍ بالسَّتْرِ، لأنَّ السَّتْرَ هنا: خلاف النصح الواجب لمن سمعوا، وليس هو إصلاح الغلط والحفاظ على صحة المنهج وأصل الديانة، ولذا كثير ممن ينادون بالسَّتر – والحالة هذه – إنما يعملون على صيانة أعراض أقوام. والدفاع عن أهل مقالات مخطئة- وإن تعطَّل سبيل الخير -، لا نشر تصحيح الأخطاء أصلاً، وأمَّا من أخطأ في السِّرِّ دون العلن فالسَّترُ عليه مُتحتم، لا سيما إذا كان من ذوي الهيئاتِ، فقد قال رسول الله ﷺ: «**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ**»، وهو حَديثٌ يُحَسَّنُ – إن شاء الله – بطرقه.

وقد أخرج الشاشي في «جزئه» (٣٦) وابن عساكر في«تاريخه» (٦١/ ٣٦٥) بسندٍ صحيح عن ميمون بن مهران عالم الرقَّة تلميذ الصحابة رضي الله عنهم قال: «مَنْ أَسَاءَ سِرًّا فَلْيَتُبْ سِرًّا، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَانِيَةً فَلْيَتُبْ عَلَانِيَةً»؛ فماذا؟ وهذا الذي نطالب القوم به اليوم.

(٢) كما قال أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، إِذَا رَأَى فِيهِ عَيْبًا أَصْلَحَهُ». أخرجه ابن وهب في «الجامع» (٢٠٣) والبخاري في «الأدب المُفرَد» (٢٣٨) وغيرهما، وهوأثر حَسَنٌ موقوفـًا.

أَنْ يُرَبِّيَ النَّاسَ بصغار الْعِلْمِ قبل كباره.

يبدأ بصغارِ مسائلِ الْعِلْمِ قبل كِبَارِهِا، يُرَبُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَطُلابَهُمْ ابتداءاً من المسائل الصغيرة إلى المسائل الكبيرة.(١)

ومن صِفَاته:

أن يُحِيلَ عَلَى مَنْ أَعْلَمُ مِنْهُ ليفيدَ الطَّالِبَ، فهذا هو المطلوب لِرِفْعَةِ الدِّينِ ونشر الْخَيْرِ.(٢)

وَيُثْنِي عَلَيْ من يعلم عنه ذلك، لِيُؤْخَذَ عَنهُ العِلْمُ:

❁ فَابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ يقول لابنه ولعِكرمة: «انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ»(٣).

❁ وزَيْدُ بْنِ أَرْقَمَ والبراءُ بن عازب ﷺ يقول كل منهما عن الآخر لسائل يسأل عَنِ الصَّرْفِ: «سل فلانـًا فهو أعلم» (٤).

---

(١) فقد أخرج البخاري معلَّقـًا تعليقـًا مجزومـًا قال: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: في تفسير قوله تعالى {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}: «حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ».
وقال البخاري: «وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ».
كذا في باب: «الْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

(٢) فإنَّ الْعِلْمَ لا يحصيه قلب عالم ولا عقله، بل الخير محصور في جملة العُلماءِ، ولذلك كان الصحابة إذا سُئل عن مسألة يعلم أنَّ غيره أعلم بها يحيل عليه. وقد ذكرت لذلك إحالة ابن عباس على عائشة في صفة وتره ﷺ كما في صحيح مسلم (٧٤٦).
وإحالة عائشة ﷺ – هي الأخري – لسائل عَلَىَ عليِّ بن أبي طالب ﷺ في مدة المسح على الخفين، كما في صحيح مسلم (٢٧٦) ... .

(٣) صحيح البخاري (٤٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٨٠) ومسلم (١٥٨٩)

❁ وابن عمر رضي الله عنهما يُسْأَلُ، فَيُفْتِي ويُرسِلُ السائلَ إلى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَيُفْتى بمثل ما أفتي فِي مَسْأَلَة رجل وَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ فِي الحج.

وهذا عِنْدَ ابن أبي شيبة[١] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

❁ وهشام بن يوسف الصغاني يقول عن عبد الرزاق بن همام: «كَانَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَعْلَمَنَا، وَأَحْفَظَنَا».[٢]

عَلَّقَ عليه الذهبي في «السير»[٣] فقال:

«هَكَذَا كَانَ النُّظَرَاءُ يَعتَرِفُوْنَ لأَقْرَانِهِم بِالحِفْظِ».

❁ وهذا رجل يسأل شعبةَ عَن حَدِيث من حَدِيثِ أيوب، فقال:

«يَامَجْنُون تَسْأَلُنِي عَنْ حَدِيثِ أَيُّوبَ وَحَمَّادٌ إِلَى جَنْبِكَ».[٤]

❁ وقال ابن مهدي رحمه الله: «غندر – يعني محمد بن جعفر- في شعبة أثبت مني».[٥]

❁ وورد عن ابن عون رحمه الله قال: «عَلَيْكُمْ بِأَيُّوبَ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مِنِّي».

❁ وعن يونس رحمه الله قال: «عَلَيْكُمْ بِأَيُّوبَ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مِنِّي».[١]

---

(١) المصنف (٣/ ٥٣٨).

(٢) وَمَدحَ عمرانُ صلاةَ عليِّ بن أبي طالب لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ التابعي ليتبعه، كما في صحيح البخاري (٨٧٦) ومسلم (٣٩٣)؛ وراجع فصلاً لذلك في كتابي «طالب الْعِلْمِ حقوقه وآدابه».

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٦).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٦٢)بإسناد قوي.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٢١) عن أبيه، وهو صحيح السَّند، وله طريق آخر أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٠١).

❁ وَإِسْحَاقُ بن إِبْرَاهِيم رحمه الله يقول: «إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْي مِنَ الحَقِّ، أَبُو عُبَيْدٍ أَعْلَمُ مني، ومن ابْن حنبل والشافعي».[٢]

❁ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل رحمه الله: «لَمْ يَعْبُرِ الْجِسْرَ إِلَى خُرَاسَانَ مِثْلُ إِسْحَاقَ، وَإِنْ كَانَ يُخَالِفُنَا فِي أَشْيَاءَ فَإِنَّ النَّاس لَمْ يَزَلْ يُخَالِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».[٣]، يعني في مسائل الفروع، لا في ثوابت الدِّين، فتنبه.

❁ وقدحكى الذَّهَبِيُّ[٤]عن أحمد وَسُئِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رحمه الله فَقَالَ:

«لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِهِ لَقَدْ كُنَّا تَعَلَّمْنَا كَلاَمَ القَوْم، وَكَتَبْنَا كُتُبَهُمْ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا فَلَمَّا سَمِعْنَا كَلاَمَهُ عَلِمْنَا أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِ وَقَدْ جَالَسْنَاهُ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ، فَمَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا كُلَّ خَيْرٍ. فَقِيْلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ كَانَ يَحْيَى، وَأَبُو عُبَيْدٍ لاَ يَرْضَيَانِهِ يُشِيْرُ إِلَى التَّشَيُّعِ وَأَنَّهُمَا نَسَبَاهُ إِلَى ذَلِكَ[٥]، فَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: مَا نَدْرِي مَا يَقُولاَنِ، وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْراً».

قال الذَّهَبِيُّ رحمه الله: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ يَتَشَيَّعُ فَهُوَ مُفْتَرٍ لاَ يَدْرِي مَا يَقُوْلُ».

❁ وكان الشافعي يقول لأحمد:«أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ مِنَّا، فَإِذَا كَانَ الحَدِيثُ صَحِيحًا فأعلِمونا نَعَمل به».

=

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٣٩٢).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٢١).

(٤) في السير (١٠/ ٥٨) وفي «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٣٣٤).

(٥) ككثيرمن الإشاعات التي يُبتَلى بها أهلُ السُّنَّة، تنشأ عن فهم خاطئ أو نقل كاذب مِنْ طالبٍ منكوس منحوس، يوقع أهلَ السُّنَّة بعضهم في بعض، بقصدٍ أحيانًا، كما يفعل أهل البدع، أو بغير قصدٍ كما يفعل الصغار السُّذج الَّذِينَ لا تمييز عندهم. ألا فليسلط الأضواء على هؤلاء لدفع ضررهم على أنفسهم وعلى غيرهم.

أي: نسير على نهج مَن يأخذ بصحيح الحديث، لا الرأي.

❁ وعائشة رضي الله عنها تقول لعُروة:

«انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللهِ - تَعْنِي ابن عَمْرٍو- فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ... الأثر».

وَفِي رواية، قالت:

«بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ، فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا».[١]

❁ وأَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى رحمه الله يقول:

«أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ، فَجِئْتُهُ فَسَأَلَنِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ فَرَحَّبَ بِي، فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ».[٢]

❁ وقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه:

«التَمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ، عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ».[٣]

ولذا من صِفَات الْعَالِمِ أن يكون منصفاً:

وقد ذكرت نُخْبَةً كبيرةً مِنْ إِنْصَافِ عُلَمَاء السَّلَف، فَلْتُرَاجَعْ، ذكرتها في غير هذا الموطن.[٤]

---

(١) وهذا في صحيح مسلم(٢٦٧٣) وانظر صحيح البخاري(٧٣٠٧).

(٢) وهذا عند ابن سعد في «طبقاته» (٦/ ٢٧٧) بسندٍ ثابت.

(٣) أخرج هذا الترمذي (٣٨٠٤) وبعض أصحاب السُّنَنِ وأحمد بإسناد صحيح.

(٤) راجع لذلك كتابي « طالب الْعِلْمِ حقوقه وآدابه » لاسيما الطبعة الثانية.

قال ابن عبد البر رحمه الله:[١] «مِنْ بَرَكَةِ الْعِلْمِ وَآدَابِهِ الْإِنْصَافُ فِيهِ، وَمَنْ لَمْ يُنْصِفْ لَمْ يَفْهَمْ وَلَمْ يَتَفَهَّمْ».

وقد عزَّ هذا في كثيرٍ من الأوائلِ، فكيف بالْمُتَأَخِّرين؟! وراجع كتابي المُشار إليه آنفـًا.

ولا يكون الْعَالِمُ، عَالِما بكثرة بيانه ومقاله والتَّوَسُّعِ فِي القول:

ولذا يقول **الحافظ ابن رجب** رحمه الله في «فضل علم السَّلَف على علم الخلف»[٢]:

«وقد ابتُلينا بجهلة من النَّاس، يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم. فمنهم من يظن في بعض النَّاسِ أنه أعلم من كل مَنْ تقدم من الصَّحَابَةِ ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله. ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين. وهذا يلزم منه ما قبله لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم، فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولا بطريق الأولى، كالثوري والأوزاعي والليث، وابن المبارك، وطبقتهم، وممن قبلهم من التابعين والصَّحَابَة أيضـًا[٣]؛ فإن هؤلاء كلهم أقل كلامـًا ممن جاء بعدهم، وهذا تَنَقُّصٌ

---

(١) في «جامع بيان الْعِلْمِ وفضله» (١/ ٤٣١).

(٢) «فضل علم السَّلَف على علم الخلف» ص٥.

(٣) وهذا لا يصح، لوجود الأحاديث المتكاثرة المفيدة بأنَّ الصحابة أفضل الأمة، وأنَّ العلمَ يَقِلُ والفَسادَ يكثر في كل زمان عما كان قَبلَه، فكل زمان الذي بعده – في الجملة – أشر منه، فكل من أتي بعدهم – أعني الاوائلَ – لا يدركهم في المنزلة – أبداً – مَنْ بعدهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،- قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا – ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**» أخرجه البخاري (٣٦٥٠).

=

عظيمٌ بالسَّلَف الصالح، وإساءةُ ظَنٍّ بهم، ونسبته لهم إلى الْجَهْلِ وقصور الْعِلْمِ ولا حول ولا قوة إلا باللَه»ا.هـ

ولقد صَدَقَ الحسن البصري حين قال عن أصحاب النبي ﷺ:

«أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، تَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ

=

❁ وجعلهم رسول الله ﷺ أمانـًا لِلْأُمَّةِ، فقال: «**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي**» كما في صحيح مسلم (٢٥٣١)، فكيف يكون من جعلهم الله أمانـًا لِلْأُمَّةِ أدنى من بعضهم ممن يأتي بعدهم؟

❁ وقد قال حذيفة رضي الله عنه: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» أخرجه البخاري.

❁ وقول ابن عباس رضي الله عنه للخوارج: «جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ نَزَلَ الْوَحْيُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ» الذي أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٧٨) بسندٍ صحيح.

❁ وفيهم من جُعِلَ أَمَانًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ كابن عمر رضي الله عنهما، كما قال ابن محيريز.
أخرجه عنه أبو زرعة في «تاريخه» (٣٢) بسندٍ حسنٍ.

❁ وفيهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، الَّذِينَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بإتباع سنتهم وَالْعَضِّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، كما أخرج ذلك أحمد (٤/ ١٢٦) بسندٍ حسنٍ.

❁ وفيهم أهل بيته وزوجاته، وقد أمرنا بإجلالهم والترحُّم عليهم....

❁ وكان التابعون يهرعون إليهم للسؤال في النوازل... كما في قصة يحيي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري في صحيح مسلم (٨)، لما ظهرت القَدَريةُ.

❁ وقد سُئِلَ رسول الله ﷺ عن خير الناس، فقال: «**أَنَا، وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ**».

أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠) والخلال في «السُّنَّة» (٦٦٥) وغيرهما بسندٍ حسنٍ.والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

وَطَرَائِقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا - وَرَبِّ الْكَعْبَةِ - عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ». (١)

وقد رُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، فقد قال :«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ». (٢)

وَعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال**: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ: كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، قَلِيلٌ سُؤَّالُهُ، كَثِيرٌ مُعْطُوهُ، الْعَمَلُ فِيهِ قَائِدٌ لِلْهَوَى. وَسَيَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ: قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ، الْهَوَى فِيهِ قَائِدٌ لِلْعَمَلِ. اعْلَمُوا أَنَّ حُسْنَ الْهَدْيِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ، خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ الْعَمَلِ». (٣)

وكيف يكون المشقِّق للكلام عالماً، وقد ورد ذمَّة عن رسول الله ﷺ؟

فقد أخرج البخاري في«الأدب المفرد »وغيره بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه، رَأَى رَجُلًا يَخْطُبُ فَأَكْثَرَ فَقَالَ عُمَرُ «إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُطَبِ مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ» رضي الله عنه (٤).

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١١٦١) وابن عبد البر في «الجامع» (١٨٠٧) بإسناد صحيح عن عبد ربه وهو بن عبيد الأزدي الجرموزي، قال: كُنَّا عِنْدَ الْحَسَنِ فِي مَجْلِسٍ ، فَذَكَرَ كَلَامًا ، وَذَكَرَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ... فذكره.

(٢) ولكن أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨١٠) والهروي في «ذم الْكَلَام» (٧٥٨) وآخر عن ابن عمر رضي الله عنهما عِنْدَ أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥) وإسناده ضعيف أيضاً.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٩)، ولكن في إسناده الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ: وهو إلى الضَعْفِ أقرب، فَيُنَبَّه على ضَعْفِه؛ وَفِي الصحيح الَّذِي أوردناه غِنًى عَنْ مِثْلِ ذلك؛ والله الموفق.ثمَّ وقفت له على طريق آخر أخرجه عبد الرزاق(٣٧٨٧) وابن أبي خيثمة في«العلم»(١٠٩) فبه يجزم بصحته كما بينته في كتابي«طالب العلم حقوقه وآدابه» .

(٤) أخرجه البخاري في«الأدب المفرد»(٨٧٦) وابن عبد البر في «الجامع»(١٨٨٠).

وأخرج أحمد[١] بسندٍ صحيح عن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ خَطِيبَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَامَا فَتَكَلَّمَا، ثُمَّ قَعَدَا، وَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَعَدَ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، فَإِنَّمَا تَشْقِيقُ الْكَلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ » قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:« إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» .[٢]

ومعنى تشقيق الكلام:

أي التكلُّف المرء في الكلام ليخرجه أحسن مخرَج، فيتعمَّق في استخراج الألفاظ. ومعنى «**قولوا بقولكم**»: أي تكلَّموا على سجيتكم دون تعمُّل وتصنُّع للفصاحة والبلاغة، والمقصود ذم المتفيهق في كلامه وهو مع ذلك لا يبالي بما قال من صدق أو كذب.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ في حياتهم.

فمن ذلك:

ما أخرجه ابن سعد[٣] بإسنادٍ صحيح عن عَمْرُو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَخًا لِبِلالٍ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى الْعَرَبِ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ فَخَطَبَ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ فَقَالُوا:

---

(١) برقم (٥٦٨٧).

(٢) وأصل الحديث في الصحيح (٥١٤٦ مختصراً).وذكرت متن المسند لتمامه.

وقد بوَّب ابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٢٥) بباب ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنْ تَشْقِيقِ الْكَلَامِ فِي الْأَلْفَاظِ إِذَا قُصِدَ بِهِ غَيْرُ الدِّينِ، وبوَّب به البخاري في«الأدب المفرد» (٨٧٥) بباب كثرة الكلام.

(٣) «الطبقات الكبرى»(٣/ ٢٣٧) والحاكم في«المستدرك»(٣/ ٢٨٣) والبيهقي(٧/ ١٣٧) وإسناده صحيح لبلال لولا أني أخشى من سماع مهران من بلال، والأقرب إليَّ أنه لم يسمع، فإنه لم يسمع ممن تأخَّرت وفاته ن بلال فكيف ببلال؟

إِنْ حَضَرَ بِلالٌ زَوَّجْنَاكَ. قَالَ: فَحَضَرَ بِلالٌ فَتَشَهَّدَ وَقَالَ: أَنَا بِلالُ بْنُ رَبَاحٍ وَهَذَا أَخِي وَهُوَ امْرُؤُ سُوءٍ فِي الْخُلُقِ وَالدِّينِ. فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تُزَوِّجُوهُ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَدَعُوا فَدَعُوا. فَقَالُوا: مَنْ تَكُونُ أَخَاهُ نُزَوِّجُهُ. فَزَوَّجُوهُ.

ومن ذلك:

ما أخرجه البيهقي[١] بإسنادٍ صحيح عن أبي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا دُعِيَ إِلَى تَزْوِيجٍ قَالَ: «لَا تُفَضِّضُوا عَلَيْنَا النَّاسَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ، إِنَّ فُلَانًا خَطَبَ إِلَيْكُمْ فُلَانَةَ، إِنْ أَنْكَحْتُمُوهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ رَدَدْتُمُوهُ فَسُبْحَانَ اللهِ». وأخبار القوم في هذا كثيرة فأكتفي بذلك.

وقد حكى الحافظ ابن رجب[٢] عن الإمام مالك قال:

« أدركت أهل هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم: يريد المسائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول: يتكلَّم أحدهم كأنه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا بهدر في كلامه، وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول قال اللَهُ عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الإسراء. فلم يأته في ذلك جواب»اهـ.

قلت«محمد»: ولقد كان كلام التابعين أكثر، ولم يكونوا أعلم من الصحابة، وكان الكلام فيمن بعدهم أكثر، وتفريعاتهم أوسع، ولم يكن علمهم أكثر ولا أبرك من علم مَن سَبَقَهُم، وهكذا .

---

(١) في«الكبرى»(٧/ ١٨١) باب كيفية الخطبة.

(٢) في«فضل علم السلف» ص٤.

واعلم– علمني الله وإياك –

أنَّ مما يتميز به الْعَالِمُ – أحياناً – كِبَرَ السِّنِّ – في كثير من الأحيان، ولذلك أرشد السَّلَف إِلَى التَّعَلُّمِ عِنْدَ الكبار، لا عِنْدَ الْأَحْدَاثِ.

وقد قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُم**»[(١)]:أي الْمُجَرِّبِينَ للأمُورِ.

وأخرج الحسين المروزي في «زوائد الزهد»[(٢)]وغيره بسندٍ حَسَنٍ عن أبي أمية اللخمي عن النبي ﷺ أنَّه قال:«**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**».

وَقَدْ فَسَّرَ ابن المبارك رحمه الله – أحد رواة السَّنَدِ– فَقَالَ:

«الْأَصَاغِرُ: من أهل الْبِدَعِ».[(٣)]

وروي الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٥٥) معلقـًا وَظَاهِرُ إِسْنَادِهِ الصِّحَّة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ وَعَنْ أُمَنَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ مِنْ صِغَارِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا».[(٤)]

وقد أخرجَ اللالكائي وابن عبد البر[(١)]بإسنادٍ قَوِيٍّ عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: «إِنَّ أَصْدَقَ الْقِيلِ قِيلُ اللهِ، أَلَا وَإِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٥٩) بإسناد ثابت عن ابن عباس م.

(٢) «زوائد الزهد » (ص٦١).

(٣) كذا في «شرح أصول الإعتقاد» (١٠٢).

(٤) وقد أخرجه ابن الأعرابي في « المعجم » (٩٢٦) وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٤٩)، ولفظ أبي نعيم «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ وَذَوِي أَسْنَانِهِمْ فَإِذَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ صِغَارِهِمْ وَسُفَهَائِهِمْ فَقَدْ هَلَكُوا» وفي السَّندِ بهذا اللفظ ضعف أيضـًا.

مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ ضَلَالَةٌ، أَلَا وَإِنَّ النَّاس بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمِ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، وَلَمْ يَقُمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، فَإِذَا قَامَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ فَقَدْ».

ولفظ ابن عبد البر:

«أَلَا إِنَّ النَّاس لَمْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ أَكَابِرِهِمْ»

وَسَبَبُ ذَلِكَ يُبَيِّنُهُ الخطيب البغدادي فَيَقُولُ:

«لِأَنَّ الشَّيْخَ قَدْ زَالَتْ عَنْهُ مُتْعَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ وَعَجَلَتُهُ وَسَفَهُهُ وَاسْتَصْحَبَ التَّجْرِبَةَ وَالْخِبْرَةَ فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ الشُّبْهَةُ، وَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْهَوَى وَلَا يَمِيلُ بِهِ الطَّمَعُ، وَلَا يَسْتَزِلُّهُ الشَّيْطَانُ اسْتِزْلَالَ الْحَدَثِ وَمَعَ السِّنِّ الْوَقَارُ وَالْجَلَالَةُ وَالْهَيْبَةُ، وَالْحَدَثُ قَد تَدْخُلُ عَلَيْهِ هَذَه الْأُمُورُ الَّتِي أُمِنَتْ عَلَى الشَّيْخِ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَأَفْتَى هَلَكَ وَأَهْلَكَ»[٢].

وَتَنَبَّه– بارك الله فيك– أنَّه ليس علامة الْعَالِمِ أن يكون فقيهاً بالْوَاقِع.

فالْوَاقِع لَا يُعْطِي للْإِنْسَان أهلية لِلْفُتْيَا ولا التَّوْجِيهِ .

وقد قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ وَلَمْ يَقُلْ يفقهه بالْوَاقِع.

ولما دَعَى رَسُول اللهِ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ، دَعَى له فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ ما دَعَى له بالفقه في الْوَاقِع.

وكثير ممن يدندنون على فقه الْوَاقِع، ليسوا على الْمنْهَج السَّوِيِّ أصلاً، بل هم أَجْهَلُ النَّاسِ بالواقع، ولذلك يُغْيِّرونَ ويَتَلوَّنُونَ خروجًا مِنْ الْحَرَجِ إذا

=

(١) « شَرْحِ أُصُولِ الِاعْتِقَادِ » (١٠٠) وابن عبد البر في « الجامع » (١٠٥٤).

(٢) قاله الخطيب البغدادي في كتابه «نصيحة أهل الحديث» ص٣٠.

انجلت الفتن، ولجهلهم بالواقع والشَّرع يتضرر النَّاسُ من توجيهاتهم جداً، والله المُستعانُ.

وإن كان من مستلزمات الْعَالِمِ أَنْ يَكُوْنَ فَقِيهًا بالْوَاقِع، الَّذِي يُفْتِي لِلنَّاسِ فِيهِ.

لكن بعض النَّاس يَرَى كَثْرَةَ شَقْشَقَة الْكَلَام وَالدَّنْدَنَة بِفِقْهِ الْوَاقِع هُوَ العِلْم، فيستحسن الكَلامَ، فيجعل قَائِلَهُ عَالِما، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ من هذا الْغُثَاءِ الذي ابْتُلِيتْ الْأُمَّةُ به.

ومما يتميز به الْعَالِمُ عن غيره: دقة فراسته من كثرة تجاربه[١] وَسَعَةُ عِلْمِهِ ومعرفته بالْوَاقِعِ القديم والجديد، ولذا كانت الْبَرَكَةُ معه.

وَأخرج ابن سعد في «طبقاته» (٧/ ١٢٢) بِإِسْنَاد صَحِيح عن الْحَسَنَ ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِم، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِل».[٢]

فمن علامات الْعَالِمِ أن يَنْتَبِهَ من الخطر في مقدماته، فينصح النَّاس بما يُؤَمِّنُهُمْ من الْفِتَنِ، لا الَّذِي يزُجُّ بهم في آتونها. وأقبح من هذا أن يزج بهم فيها، ويخرج هو، كحال قعدية الخوارج والعياذ بالله.

فالَّذِينَ لا ينتبهون من الْفِتَنِ حتى تُولِّي، لَا فَرْقَ بَيْنَهُم وبين الجَاهِل الْعَامِّيِّ، وَلَا حَاجَةَ لِلنَّاسِ في أمثاله، بل راحةُ الْأُمَّةِ في إعتبارهم عَامَّة لا عُلَمَاء يُوَجِّهُونَ، فلربما تَزيَّوُا بِزِيِّ الْعُلَمَاء بقصصهم ولجاج قولهم ولحنه، فخطفوا الْعَوَامَ من بين يدي الْعُلَمَاء ووجَّهوهم بجهل وإنحرافٍ – وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ إِنْ أحسنَّا بهم الظَّنَّ – فَيَضُرُّونَ النَّاس أيما ضرر، فتكون الْبَلْوَى بهم أشد.

فلا هُمْ يجلسون ويسكتون في الْفِتَنِ، فيتكلم الْعَالِمُ فَيُفِيدُ النَّاسَ ويوجههم، ولا هم يتكلمون بما ينفع، وَيُمسِّكون النَّاسَ بِمَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاء.

وَقَدِ ابْتُلِيَ النَّاسُ كثيراً بأمثال هذا الضَّربِ الَّذِينَ اعتبروا أنفسهم عُلماء مُصْلِحِينَ، وَهُمْ ضِعَافُ العِلْم، قليلو الْفِقْهِ؛ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

---

(١) وقد قال مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ: «لَا حَكِيم إِلَّا بِتَجْرِبَةٍ»، وعَلَّقه البخاري مجزوماً به بلفظ: «لاَ حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ»، واللفظُ الأول أَخْرَجَهُ الْخَلَّالُ في «السُّنَّة» (٦٨٤) بإسناده.
والمعني: أنَّ المرءَ لا يُوْصَفُ بالحِلمِ حَتَّى يُجَرِّبَ الأمورَ، كما قال أَحْمَدُ.

(٢) وأخرج ابن أبي شيبة (٧/ ٥٢٨) بسنده عَنْ عليٍّ ﷺ قال:
«إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَسْفَرَتْ»، وقد خرَّجته عند شرحي ل«شرح السُّنَّة للبربهاري»، وقال هذا حينما سألوه – ﷺ – عَن الفِتْنَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ أن يُعافي الأمة من هَذَا الضَّرْب من النَّاسِ، فإنَّهم فِي كُلِّ مَكَان يشعلون نار الْفِتَنِ في النَّاسِ وهُم لا يَشْعُرُون.

وربما كان لهم في النَّاسِ مَكَانةٌ يعتبرهم النَّاسُ عُلَماءَ – كحال القُصَّاصَ وَالمُذَكِّرينَ الَّذِينَ أكثر ما يقولون كَذبٌ – فيُشوِّشون على العلماء بحقٍّ، بل يسحبون البِساطَ بِلَحْنِ قولهم مِن تحتِ أرْجُلِ العُلَمَاءِ.

فتكون الْفِتَنُ بسببهم من وجهين:

الأول: انحراف الناس بتوجيههم وهُمْ لم يتأهلوا لذلك بعد.

الثاني: الحيلولةُ بين العُلماءِ بحقٍّ وبين النَّاسِ، بسبب ما يُحْدِثُهُ أتباع هؤلاء المنحرفين من زوبعات حول علماءِ أهل السّنَّةِ، من التُّهَمِ وَالرَّمْيِ بالألقابِ وَالكَذبِ عَلَيْهِمْ والتَّلبِيسِ – كما فَعَلَ أئمتهم[1] – فتكون الْفِتْنَةُ بهم أعظم؛ فأين هُم والعُلَماءِ؟

---

(١) أبصرهم وقد سحبوا البساط من تحت أرجل الصحابة ودلَّسوا على العلماءِ يوم حربهم لعلي والصحابة ﷺ يوم النهروان، حتى واجهوا ابن عباس بأن قالوا لعامتهم:«لا تُحدِّثوه...»، حتى تبعهم على هذا الضَّلالِ أكثر من عشرين ألفـًا، رجع منهم بفضل الله ثم بمناظرة ابن عباس مَن رجع، وبقي من بقي، والقصة بذلك أخرجها معمر (١٨٦٧١ مصنف) بسندٍ صحيح ، ذكرتها بطولها في كتابي «مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم».

❁ ولما نصحهم الحسنُ البصري وحذَّرهم الفتن، أطاعوا غيره، وقالوا عن الحسن: «نُطِيعُ هَذَا الْعِلْجَ؟»، وقُتِلوا جميعـًا مع عبدالرحمن بن الأشعث، فلا دنيا ولا آخرة، وخرَّجت الأثر في كتابي المُشار إليه.

❁ أبصرهم يوم ابن أبي دؤاد وأمثاله كيف سحبوا البساط من تحت أرجل الأئمة من أمثال أحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، وغيرهم من أهل السُّنة، وأفتوا النَّاسَ بالضلال فاجتمع الكثير عليهم وتركوا العلماء بحق، وكذا يفعلون في كل زمان، مستغلِّين بلاهة العامة وسذاجتهم وضعف حصيلتهم العلمية، ولا حول ولاقوة إلا بالله، فإذا ضاقت عليهم السُّبل =

وكم يُضفُون على مواقفَ لِمَن يَهوُون فِعْلَه ليتبعَه النَّاسُ.

ولذلك ضَلَّ بسبب خُروجِ مُسْلِم بنْ يَسَارٍ في فتنة ابن الأشعث كثيرٌ، وَحاوَلَ الحَسَنُ - كغيره من أهل العلم- أن يدفع الْفِتَنَ عَنْهُم، وما سمعوا كلامه لإنصراف النَّاسِ عَنْ عُلَمائِهِمْ بِحَقٍّ.

وكم نهاهم العلماءُ مِنْ لدن الصحابة ﷺ فمن بعدهم، ولكن هيهات ما قابلوا نصحهم إلا بسوء الأدب كصنيعهم عبر الأزمان مع العُلَمَاءِ، بدلاً من إحترامهم وإجلالهم وإعزازهم .[1]

ومن علامات أهل الْعِلْمِ النافع علىَ أهْلِهِ :

أَنَّهُمْ لَا يرَوْنَ لأنفسهم حَالاً وَلَا مَقَاماً، ويكرهون بقُلُوبِهم التَّزْكِيةَ مِنْ الخَلْقِ والمَدْحِ، ولا يَتَكَبَّرُونَ على أحد[2]، بل يغضبون على مَن يمدحُهم.

فلا يفرحون بمن يَمْدَحُهُمْ، فَضْلًا عَنْ أنْ يُجَنِّدوا لهم مَنْ يَمْدَحهُمْ أمامَ الْمَلَإِ لِإِعْلَاءِ صِيتَهُم في النَّاسِ، بل مَادِحهُمْ وَقَادِحهُمْ سواء، هكذا ينبغي، لا ينظُرُونَ إلَّا لما عند اللهِ مِنْ تَزْكِيَةٍ.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»[3] بِإِسْنَاد صَحِيح عن صَفْوَانَ بْنَ عَمْرٍو قَالَ: «كَانَ يَزِيدُ بْنُ مَيْسَرَةَ فِيمَا بَلَغَنَا يَقُولُ: إِذَا زَكَّاكَ رَجُلٌ فِي وَجْهِكَ فَأَنْكِرْ عَلَيْهِ

=

كذبوا على العلماء والصحابة، ونقلوا عنهم ما لم يثبت إليهم. وشرح جرائمهم يطول، وسيأتي في ذيل الكتاب بيان سوء أدبهم مع العلماء، على مر الزمان بداية من علماء الصحابة فمَنْ بعدهم.

(١) وسيأتي ذكر صنيعهم في ذلك في ذيل الكتاب إن شاء الله تعالي.

(٢) من كلام الحافظ ابن رجب في « فضل علم السَّلَف » ص٨ بِتَصرُّفٍ يسيرٍ.

(٣) (٥/ ٢٤٠).

وَاغْضَبْ، وَلَا تُقِرَّ بذلكَ، وَقُلِ: اللهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»، وكذا كان الصحابة يفعلون[١].

وكيف لَا يَغْضَبُ عليه، وهو يقطع عنقه وَيُعِينُ الشَّيْطَانَ عليه، وقد يَمْنَعه مِنَ الْفَلَاحِ، بل يَغُرُّهُ.

وقد سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رجلاً يُثْنِي عَلَى آخر– وَكِلَاهُمَا صَحَابِيٌّ – فقال: «**وَيْلَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، مِرَارًا**»[٢].

أي: تسببت فِي هَلَاكِهِ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا أخذه الْعُجْبِ بِسَبَب مدحك له.

مع أنَّه صحابيٌّ، والممدوح سَليم الْقَلْبِ، وَالمادحُ يَمْدَحُ بِحَقٍ ولا يُتَصَور غير هذا في مجلسه ﷺ فكيف بَمَدْحِ المرءِ في أَيَّامِنَا ؟!

لذا قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ**».

وتبعه الصَّحَابِيُّ على ذَلِك، فعن أبي معمر:«أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ، فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ**».[٣]

---

(١) أخرج ذلك البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦١) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٢) عَنْ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ عَنْ رَجُلٍ كَانَ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالَ: «كَانُوا إِذْ أَثْنُوا عَلَيْهِ فَسَمِعَ ذَلِكَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»، وصحح إسناده الألباني.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٦٢) ومسلم (٣٠٠٠) عن أبي بكرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم(٣٠٠٢)، وفي رواية أحمد (٢٣٨٢٤) قال: « أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْثُوَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ »، قَالَ الزُّبَيْرُ: « أَمَّا الْمِقْدَادُ فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ »، يمدحه لأجل ما صنع ، فالله أكبر على من يقدح على الصنيع كهذا!

وَعن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ رحمه الله: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَمْدَحُ رَجُلاً عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يَحْثُو التُّرَابَ نَحْوَ وَجْهِهِ بِأَصَابِعِهِ وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَادِحِينَ، فَاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِمِ التُّرَابَ**».[١]

وَمَدَحُوا عُمَرَ رضي الله عنه بكلامٍ، فقال:

«... وَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ».[٢]

وَفِي رواية: لما جاء النَّاسُ يثنون عليه و....

قال: «وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ، لاَ عَلَيَّ وَلا لِي».[٣]

وهذا كثيرٌ في الصَّحَابَة جدًّا، ليس مجال الاستفاضة هنا في هذا الباب، وَهُوَ يحتاج لمُؤلَّفٍ مُسْتَقل.

قد ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله علاماتِ أهْلِ الْعِلْمِ النافع فَقَالَ:[٤]«كلما ازدادوا في هذا الْعِلْمِ ازدادوا تواضعـًا لله، وخشيةً وانكساراً وذلًّا».

كَمَا قِيلَ: «وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ علمًا، ازْدَدْتُ علمًا بجهلي».

ومن أوصاف الْعَالِمِ:

الخشوع والسُّكُونُ، فإنَّ اللهَ تَعَالَى نَعَتَ الْعُلَمَاءَ بذلك، فَقَالَ:

﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ

---

(١) أخرج ذلك البخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٠)، وهو صحيح عنه. .

(٢) وهذا في قصة طعنه رضي الله عنه في صحيح البخاري (٣٦٩٢) وغيره.

(٣) وهذا في صحيح البخاري (٣٧٠٠).

(٤) في « فضل علم السَّلَف » ص٨.

لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

ومن صِفَات الْعَالِمِ:[١] «أن يأْمَنَ شَّره مَن خالَطَه.

ويأمُلَ خَيرَه من صاحَبَه.[٢] لا يُؤاخِذُ بالعَثَرات.[٣]

والْعَالِمُ بِحَقٍّ:

لَا يُشِيعُ الذنوبَ عن غيره، وَلَا يَقْطَعُ بالبلاغات.

ولَا يُفْشِي سِرَّ مَن عاداه، ولا ينتصر منه بغير حق، ويعفو ويصفح عنه[٤]. ذليلٌ للحق، عَزِيزٌ على البَاطِلِ، كاظمٌ للغيظ عَمَّنْ آذَاهُ، شديدُ الْبُغْضِ لمن عصى مولاه.

---

(١) كما يقول الآجري في «أخلاق العلماء» ص٦٤.

(٢) إذ المؤمن مُشَبَّه في القرآن والسُّنَّة بالنخلة، التي كلها خَيرٌ لا شَرٌّ فيها.

(٣) لأنَّ الله تعالى يغفر الزلات، ويتجاوز عن العثرات.

وقد حكي ابن مفلح الحنبلي في «الآداب الشرعية»(١/ ٣٠٢) عن المروزي قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ– يعني أحمد بن حنبل–: إِنَّ أَبَا مُوسَى هَارُونَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَدْ جَاءَ إِلَى رَجُلٍ شَتَمَهُ لَعَلَّهُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ، وَشَقَّ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ؛ فَعَجِبَ وَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ بَغَى عَلَيْهِ سَيُنْصَرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: رَجُلٌ نَقَلَ قَدَمَهُ وَيَجِيءُ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ لَا يَخْرُجُ؟»

وَصَحَّ عن الحسن البصري رحمه الله أنَّه قال: «أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ الْعَفْوُ»، أخرجه هناد في «الزهد» (١٢٨٩) بإسنادٍ صحيحٍ.

(٤) فبعض النَّاسِ– هداهم الله– بمجرد إخباره بزَلَّةٍ يشيعها، لا ينصح ولا حتى يتثبت مما يُشاع، إنَّما ينصح بطريقة من يحب النقد والظهور وإشاعة عيوب، وإذا فَتَّشَ، فبطريقة من فَصَّل قميصًا ليلبسه الخصم وإن لم يكن على مقاسه، لا بطريقة الَّذِينَ لا يُحِبُّونَ أَنْ تشيعَ الْفَاحِشَة فِي الَّذين آمنُوا، حتى إنك لتشعر منهم بكراهية تبرئة ساحة إخوانهم مما نُسِبَ إليهم، وهذا لا يصدر إلا من شيء في النفس، نسأل الله العافية.

=

يجيب السَّفِيهَ بالصَّمتِ، والْعَالِمَ بالقبول منه، ليس بمداهنٍ، ولا مُشاحن، ولا مُختالٍ، ولا حَسودٍ، ولا حَقودٍ، ولا سَفِيهٍ، ولا جَافٍ، ولا فَظّ ولا غليظ ولا طَعَّانٍ، ولا لَعَّانٍ، ولا مُغْتَابٍ، ولا سَبَّابٍ(١).

=

وهذا على عكس طريقة رسول الله ﷺ والصحابة، فإنَّ رسول الله ﷺ فرح بتبرئة ساحة أم أسامة بن زيد مما قِيلَ عنها، فدخل على عائشة تبرق أسارير وجهه من الفرح، وحديثه بذلك في صحيح البخاري (٣٥٥٥) ومسلم (١٤٥٩).

ولا يخفي فرحة الصحابة العارمة بتوبة الله على كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ، فذهب الناسُ يُبَشِّرونَهُمْ، هؤلاء يُبشِّرُونَ كعب بن مالك ﷺ، وأخرون ذهبوا إلى صاحبيه، وركض رجل على فرسٍ، وسعى ساعٍ من «أَسْلم» قبله وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، قال كعب: «فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ ...» وحديثه في صحيح البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)؛ وليس المقامُ مقام استفاضة في هذا، وراجع لزاماً مجتمع الصحابة في ذلك في رواية البخاري (٤٦٧٧).

(١) إلاَّ بحق وإلا فقد وقع السباب في كلام رسول الله ﷺ، فسب رجلين وقال لهما ما شاء الله أن يقول في غزوة تبوك لكونهما خالفاه في نهيه، والحديث بذلك أخرجه مسلم (٧٠٦) عقب حديث (٢٢٨١).

ورجلان دخلا على رسول الله ﷺ فكلماه فأغضباه، فلعنهما وسبَّهما كما في صحيح مسلم، وقال: «**اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**»، أخرجه مسلم (٢٦٠٠).

وقال عن معاوية ﷺ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**»، ودعا على غيره، ودعا على يتيمة أم سُليم، فقال: «**لَا كَبِرَتْ سِنُّكِ**»...

كما وقع شيء من نحو ذلك عن الصحابة ....

فهذا إن وقع من النبي ﷺ وبعض الصحابة فليس هو من باب قول أنس ﷺ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَّانًا» أخرجه البخاري (٦٠٣١)، ولا من باب قوله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»، أخرجه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤) عن ابن مسعود ﷺ، لأنه إنما وقع منه ﷺ نادراً شاذاً، ولا حكم للشاذ، كما مال النووي في «شرح =

يخالط من الإخوان من عَاوَنَهُ على طَاعَةِ رَبِّهِ.... يَغْلبُ على قلبه حُسْنُ الظَّنِّ بالمؤمنين في كل ما أَمْكَنَ فيه الْعُذْرُ، لا يحب زَوَالَ النِّعْمِ عن أحد مِنَ الْعِبَادِ» ا.هـ كلام الآجُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنْ سِماتِ الْعُلَمَاء -عُلَمَاء الْعِلْمِ النَّافِعِ -.

أَنَّهم يُسِيئُونَ الظَّنَّ بأَنْفُسِهِمْ، ويُحْسِنُونَ الظَّنَّ بمَنْ سَلَفَ من الْعُلَمَاء، ويُقِرُّونَ بقلوبهم وأَنْفُسِهم بفضل مَنْ سَلَفَ عليهم(١)، وبِعَجْزِهِمْ عَن بُلُوغِ مَرَاتِبِهِمْ والوُصُولِ إِلَيْهَا أو مقاربتها.(٢) كما قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ.(٣)

وقد وصف الآجري رحمه الله عُلَمَاءَ سوء، لم ينفعهم الله بعِلمِهِمْ؛ فَقَالَ:(٤)

=

مسلم» (٦/ ١٤٦) إلى ذلك، أو للخصوصية التي ليست لغيره فيكون سبابه أو لعانه زكاة وأجراً كما في الحديث، أو أنه إنما وقع ذلك منه ومن الصحابة رضي الله عنهم بحق، استحق المرء السباب فسبه فلا إشكال، وقد أجبت على هذا كله بتفصيل في كتابي (ردع المجرم عن سب المسلم وما يتعلَّق بالسِّباب من أحكام).

وإلا فأخلاق النبي ﷺ بلغت مبلغاً عظيماً في الكمال، فقد بعثه الله تعالى ليُتمم صالح الأخلاق، كما قال ﷺ.

(١) كما يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم** ﴾ [الحشر:١٠].

(٢) أما من علمه غير نافع إذا رأي لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال وتشقق الكلام، ظن لنفسه عليهم فضلاً في العلوم أو الدرجة عند الله لفضل خُصَّ به عمن سبق، فاحتقر من تقدمه واجترأ عليه بقلة الْعِلْمِ، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام مَنْ سَلَفَ، إنَّما كان ورعاً وخشية لله؛ ولو أرادوا الكلام وإطالته لما عجزوا عن ذلك.

(٣) من كلام الحافظ ابن رجب : في «فضل علم السَّلَف» ص٩.

(٤) في « أخلاق العُلماء » ص٨٣.

«طَلَبَهُ – أي العِلمَ – لِلْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ ، وَتَأَكَّلَ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ ، وَجَالَسَ بِهِ الْمُلُوكَ، وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ، لِيَنَالَ بِهِ الدُّنْيَا، فَهُوَ يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَخْلَاقُهُ أَخْلَاقُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ. فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ. لِسَانُهُ لِسَانُ الْعُلَمَاءِ، وَعَمَلُهُ عَمَلُ السُّفَهَاءِ».

ثم ذكر أحاديث: منها قوله ﷺ:«**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» .... الخ.(١)

لا يسعون لنيل شهادة يصرفون بها وجوهَ النَّاسِ إليهم، بل تجدهم يكرهون الظهور. وحُبُّ الظهور يَقصِمُ الظهور.

فإنَّ تَعَلُّمَ العِلمِ لصرفِ وجوه النَّاسِ إلى الْمُتَعَلِّمِ مُنَاقِضٌ للإخلاص – وإن تَعَلَّلَ لنيل الشهادة بحجة التمكن من الدعوة إلى الله – فهذا فيه فُخُوخُ شيطان.

حُبُّ دنيا وزخارفها تحت ستار حُبِّ الدعوة إلى الله...

فإذا تمكَّنَ شُغِلَ بالأموال، ولا دعوة ولا إصلاح، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله. فالنَّاقدُ بَصِير، والله الْمُسْتَعانُ.

فَمَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَرِحْ رائحةَ الجَنَّةِ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٥) وأحمد (٨٤٥٧)، وهو حديث حسن.

من صِفَاتِ
الْعَالِمِ في دَرْسِهِ

ومن صِفَات الْعَالِمِ في دَرْسِه:

أن يُوقظَ فَهْمَ الطَّالِبِ بكثرة البحث والسؤال والجواب، ويُرِيَه السُّرُورَ إذا أورد عليه سؤالاً أو إشكالاً أو عارضه بما قاله، فإنَّ القصد النفع والوصول للحَقِّ، لا الإنتصار للقَوْلِ الَّذِي يقوله والمذهب الَّذِي يصير إليه، يطيل مع الطالب ليفهِّمه، ويزيل له اللبس والإشكال حتى يفهم.

ألم تر إلى يزيد الفقير الذي قد شغف برأي الخوارج كيف أزال جابر بن عبد الله رضي الله عنه له ولإخوانه اللبس والإشكال حتى رده ومن معه عن رأيهم الخبيث الذي نحا إلى رأي الخوارج؟

أخرج مسلم [1] عن يَزِيد الْفَقِير، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} [آل عمران: ١٩٢] وَ {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ

---

(١) برقم (١٩١).

كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ»، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

فتأمل حوار جابر رضي الله عنه معهم وقد أدى لى رجوعهم عن رأيهم السوء.

وتأمَّل عبد الله بن سلام حينما رأي النبي ﷺ وهو يكلم الناس أول ما ذهب إلى المدينة كيف أثَّر فيه؟

فأخرج ابن أبي شيبة والترمذي واللفظ له بسندٍ صحيح عن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ.[1]

والعالم!

إذا أرشده من دُونه إلى خلل بما قاله، شكره عليه، وبحث بحثًا يقصد منه الوصول إلى الحقيقة، لا نَصْرَ ما هو عليه من الحقيقة، وستأتي أمثلة لذلك.

ورجوع المُعلِّم إلى فهم المُتعلِّم حيثُ يكون أقرب إلى الوصول إلى الصواب، أول شيء يدلُ على فضيلته وُعلوِ مَرتَبَتِهِ، وَحُسْنِ خُلُقِهِ، وإخلاصِهِ لله تعالى.

إِذَا لَمْ يَصِلِ الْعَالِمُ إلى هذه الحال، فليُعوِّد نَفْسَهُ ذلك، وليتمرَّن عليه، فإنَّ المزاولات تعطي الملكات، والتمرينات تُرقِّي صاحبها لدرج الكمالات.[2]

ومن صِفَاته في تَدْرِيسِهِ:

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٣٦) ط عوامة والترمذي(٢٤٨٥) وغيرهما.

(٢) من كلام السعدي في «الفتاوى السعدية».

أنْ يَقْصُرَ الْخُطْبَةَ إِذَا خطب وَيُطِيلَ الصَّلَاةَ إِذَا كان وحده، أو إِذَا كان يصلي بغيره – ما لم يكن عليهم مشقة –.

فعن أَبي وَائِلٍ ﷺ قال:

«خَطَبَنَا عَمَّارٌ، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ[1].

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ[2] مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**».[3]

ومن صِفَات العالم في مَوَاعِظِهِ:

أنْ يَتَخَوَّلَهُمْ بالموْعِظَةِ مخَافَةَ السَّآمَةِ.

ففي صحيح البخاري وغيره، قول أبي وائل ﷺ: «كَانَ عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُ النَّاس فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا».[4]

وَفِي رواية مسلم عن أبي وائل ﷺ:

«كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ

---

(١) ومعنى «تنفست» أي: أطلت.

(٢) مَئِنَّةٌ: أي علامة.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٦٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٠).

بِمَكَانِكُمْ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، «إِنَّ رَسُول اللهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»(١).

ومن صِفَات العَالِمِ أن يَحترِمَ عُقُولَ مُستَمِعَيهِ:

فلا يُحدِّثهم بالواهي الضعيف، ولا بِمَا لَا يَعْرِفُ صِحَّته من ضعفه، ولا يكتفي بعَزْو السَّامعِ إلى ما لا ينتفع بالعزو إليه، كأن يقول:أخرجه أبو داود، أخرجه الطبراني، أخرجه ابن عدي....إلخ، دون ذكر الحكم على الخبر، أو يعزو الأخبار والقَصص إلى كتب التاريخ، ومن لم يكن عالمـًا بهذا فليتعلَّم.

فهذا لا يحترم عقولَ المستمعين أو القارئين له؛ وبماذا ينفعهم هذا العزو والتخريج؟!

ولا يلبس عليهم مستغلاً ضعف عقولهم، فالله سائله عن ذلك.

ولا يهتم بالْقَصَصِ التي تجذبُ الأسماعَ وتأخذ الألباب، وهي مَكْذُوبَةٌ، إذ الله تعالى يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩].

أشباه الْقُصَّاص القُدَامَى، الَّذِينَ حَذَّر السَّلَفُ منهم؛ فعليه أن يحرر ما يَتَكلمُ فيه، أو عنه فلا يُوهِمْهُم بسَفسَطةٍ يَسْتَغِلُّ بها سَفَاهةَ عُقُولِهِم وَحَدَاثَةِ أَسْنَانِهِم، بل يَنْصَحُهُم بما يَنْفَعُهُمْ، وَيَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِما يُنَاسِبَهُمْ.

ومن صفات العالم:

أن يقدِّم الدليل على كل قول مهما كان قائل هذا القول.

وقد قال الصنعاني(٢):

«مَعْلُوم من صِفَات الْعَالم أَنه لَا يرتضي أَن يقدم على قَول رَسُول الله ﷺ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٢١).

(٢) في « إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد » ص ١٤٤.

بعد صِحَّته أَو حسنه قَول نَفسه وَلَا قَول غَيره وَإِلَّا لم يكن عَالمـًا مُتبعا لرَسُول الله ﷺ قلت وَإِذا عرفت تَصْرِيح الْأَئِمَّة بِأَنَّهُ إِذا صَحَّ الحَدِيث بِخِلَاف مَا قَالُوهُ فَإِنَّهُ لَا يقلدهم أحد فِي قَوْلهم الْمُخَالف للْحَدِيث عرفت بِأَن الآخذ بقَوْلهمْ مَعَ مُخَالفَة الحَدِيث غير مقلد لَهُم» .

وأيضاً الْعَالِم بحَقٍّ:

يَهْرَبُ مِنْ الدُّنْيَا والرِيَاساتِ والشُهْرَةِ وَالمَدْح.وَيتباعدُ مِنْ ذلك، بل الاجْتِهَادُ فِي مجانبته من علامات الْعَالِمِ الَّذِي تعلَّمَ ما يَنْفَعُهُ.

فإذا وقَعَتْ له رياسة، تجده مشفقـًا غَيْرَ طَالِبٍ لذلك، ولا حَريصـًا عليها، يخشى على نفسه، ولا يَدعِي الْعِلْمَ، إلا لضرورة ونية صَّحِيحَة لمصلحة -.

ولا ينسب غيره إلى الْجَهْل، إلَّا من خالف السُّنَّة وأهلَها، ويتكلم فيه غضبـًا لله لا غضبـًا لنفسه، ولا قاصداً لَرفعتها على أحَدٍ، ولا ليَتَشَفَّى.

بحسب امرئ من الْعِلْمِ أن يَخْشَى الله، وبحسب امرئ من الْجَهْلِ أن يَعْجَبَ بعلمِه.[1]

ومن صِفَات الْعَالِمِ بشأن الطلبة:

أن يتواضع لهم، ويتصفَ بالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ، يتأدب مع أقرانه، يلتمس لهم الأعذار، لا أن يفرح بزَلَّتهم فيشيعها، لا سيما بين طلبته.

يكون جَمَّاعـًا للطلبة والمشايخ- إن كانوا على السُّنَّة- لا يفعل ما يُشَتِّتُ شَملَهُم، أو يوقع العداوة بينهم.

وَقد هدَّأ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم يومَ الْإِفْكِ وهو على المنبر، إذ ثارت

---

(١) وانظر «أخلاق العلماء للآجري» (٧) .

ثارتهم بِسَبَب عبد الله بن سلول- قبَّحه الله- [١].

لا ينصح الطَّالِبَ بما يسبب انتكاسته، لا يوجِّه الطَّالِبَ توجيهاً يسبب انصرافه عن الْعِلْمِ وأهْلِهِ...

يُحرز عقولَ الطَّلبة، وَيَحُثُّهُمْ على الانتفاع بغيره من أهل العِلْم.

يحث طلبته على الإخلاص في الدعوة، وحُبِّ تَبْليغِ العِلْم. يُحَذِّرهُم من الإنتكاسات وَالانْصِرَافِ عن العِلْم.

يبدأ في تعليم الطَّالِب بما هو محتاجٌ إليه.

لا يغضب ممن يصحح له:

وقد صَحَّحَ ابنُ مسعود لأبي موسى الأشعري ما أخطأ فيه، وبشدة، وعَلَى الْمَلَأِ، فَقَالَ أبو موسى ﷺ: «لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ». [٢]

بل قد اسْتَدرك عليٌّ بن أبي طالب على عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- وهو أعْلمُ منه في الجملة - في أمرِ جَلْدِ أبي بكرة نفيع بن الحارث في قَذْفِ المغيرة بن شعبة ﷺ بِالزِّنَى. [٣]

والْعَالِمُ لا يحملُ الطلابَ على آدابٍ ليس عليها دليلٌ من الكِتَابِ والسُّنَّة.

ومما على الْعَالِمِ أيضاً أن يرغِّبَ طالبه- بتدريج- على ما يعينُ على تحصيله من الِاقْتِصَارِ على الْمَيْسُورِ في أمور الدُّنْيَا، والقناعة بذلك، يبعد الطالب عما يسبب له غلبة الفكر وتفريق الهَمِّ بِسَبَبها.

---

(١) وذلك في حديث الْإِفْكِ في الصحيحين.

(٢) وهذا في صحيح البخاري (٦٧٣٦).

(٣) وقصته عند ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٥) بسندٍ صحيحٍ.

فَإِنْ انصرافَ الْقَلْبِ عن تعلق الأطماع بالدُّنْيَا، والإكثار منها والتأسف على فائتها أجمع لقلبه وأروح لفكره وأشرف لنفسه، وأعلى لمكانته وأقل لحُسَّاده وأجدرلحفظ الْعِلْمِ وازدياده؛ ولذلك قَلَّ مَنْ نال من الْعِلْمِ نصيبًا وافراً إِلَّا كان في مبادئ تحصيله على ما ذكرتُ من الفقر والقناعة والإعراض عن طلب الدُّنْيَا وَعَرَضِهَا الفاني.[1]

والْعَالِمُ يعتني بمصالح طالبه، ويصبر على بعض الْأَعْرَابِ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ، ويحب للطالبِ ما يحب لنفسه، ويحذِّره من شرِّ ما يعلم، ينصح الطالبَ، ويصبر على تعليمه المسائل برفق وأناة.

يتودد للغريب الَّذِي يحضر لينشرح صدره ...[2]

والْعَالِمُ لابد أن يكون عَالِما بالأسانيد الصَّحِيحَة، وطرقِ الْعِلْمِ بصحة الحديث، يُمَيّز بَين صحيح الحديثِ وسقيمه، بصيراً بالرأي، عَالِما بالسُّنَنِ ووجوه القرآن.

---

(١) وقد قال بنحو ذلك بدر الدين بن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم» ص١٤٠-١٤١، وأدلت ذلك في كتابي «طالب الْعِلْمِ حقوقه وآدابه».

تنبيه: إذا اضطر الطالب للزواج – والأعباء كثيرة في أيامنا – فليعمل ليتزوج، ولكن لا ينسلخ من الطلب بالكلية، وإلا فقد زلت قدمه وضاع عمره، وفقد الطلب من أصله – غالبًا – وينصرف، ولذا لما احتاج عمر ﷺ إلى العملِ كان يتناوب النزول على رسول الله ﷺ مع جار له من الأنصار. وهذا في صحيح البخاري (٨٩) ومسلم (١٤٧٩). وَمَنْ جرَّبَ عَرِفَ، لكن مِن النَّاسِ مَن يعلم بعد فوات الأوان، وكم من طالب علم قد انصرف بسبب سوء التوجيه من غير المؤهَّلين، والله المستعان.

(٢) ودلائل ذلك في كتابي «طالب العلم حقوقه وآدابه».

إنَّ فائدة معرفة العلماء بسماتهم وأوصافهم في أنفسهم وفي تعاملهم مع غيرهم.

هي التمييز بين مَنْ يصح أن يُطلق عليه لفظ: «عَالِمٌ» ومن لا يستحق هذا اللقب العظيم، فيؤخذ الْعِلْمُ عن الأول ويُحترمُ ويُضفى عليه قداسة العَالِمِ دون الثاني، ولو كان – هذا الأخير – متكلماً فصيحاً بليغاً مُفَوَّهاً، أو سيداً في قومه مُعَظَّمَاً، أو عنده من الْعِلْمِ الكثير، لكنه مُبتَدِعٌ في دينه، كما تقدمت الإشارة إليه .

وهل قال محمد بن سيرين رحمه الله وغيره من السَّلَف: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، إلَّا لمعرفة العَالِمِ الذي يُؤْخَذُ عنه العِلمُ من غيره؟!

إذا فُهم هذا عُلِمَ أنَّ كثيراً ممن يُشار إليهم بالبَنانِ اليَّومَ أنَّهم عُلمَاء، وَيُسَلَّم بهذا بين العَامَة هم – في الحقيقة – أدعياء، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وأنَّ مَنْ أطْلَقَ لفظ «عَالم» على بعضهم فهو ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قد قَفَى ما ليس له به عِلمٌ، ظَالِمٌ لهم قد غرَّهم، مُضَلِلٌ لِلْأُمَّةِ فيمن تقتدي به بسبب كلمته تلك.

إنَّ وَصْفَ إنسانٍ ما بالْعِلْمِ، إذا لم يكن أهلاً، يترتب عليه أمورٌ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَبَعضُ النَّاسِ إذا رأي كثرة علم في شَخْصٍ، وَصَفَهُ بأنَّه عَالِم، دون أن يلتفت لبدعته، ولو كان كذلك لنُعِتَ أئمة القدرية بالعُلماءِ، ولَزِمَه أنْ يُخَطِّيء الصحابةَ الَّذِينَ تبرأوا منهم، ولو كان كذلك لوُصِفَ الخوارج بأنَّهم عُلَمَاء، فإنهم كانوا من قول خير البرية، ولَلَزِمَه أن يخطئ الصحابة الذين قدحوا فيهم وحاربوهم.

وَلَوُصِفَ السيد في قومه كَبِيرَ الْقَدْرِ فيهم –كصَبيغ – بأنَّه عالم، وللَزِمه تخطئة عمر رضي الله عنه وقَدْ نَكَّلَ به ... .

وهذا الخَلطُ تَجِدُهُ في صفوف الحزبيين والمتعصبين، فتجد بعضهم يُقَلِّدُ شخصاً يراه شيخاً لِخِفَّةِ عَقْلِهِ، أو حَدَاثَةِ سِنِّهِ، وعدم دِرَايَتِهِ بالعِلمِ، ولا

تجد الحزبي والخارجي إلا طعَّانـًا للعلماء، ولا بُدَّ.

فإذا ما احْتُجَّ عليه بالدليل المفيد لبطلان ما هو عليه، قال لمخالفه: أنت تتبع العالم الفلاني، وأنا أتبع العالم الفلاني. وعالِمُه هذا جاهلٌ مفتونٌ منحرفٌ غِرّ !!

فمثلاً:

علماء العصر الكبار: الألباني، ابن باز، ابن عثيمين، الفوزان، ربيع بن هادي المدخلي، علماء اللجنة الدائمة، مقبل بن هادي الوادعي، وطبقتهم، لا سيما من مات منهم – فإنَّ الحي لا تُؤمَنُ عليه الْفِتْنَةُ – والعُلماء في كل دولة، المستمسكون بالسُّنةِ التي كان عليها السَّلفُ، الَّذِينَ لم يتلونوا ولم تُغيِّرهُم الأحْدَاثُ ... .

فمن تَرَك علم هؤلاء الذين ذكرنا، وعَمِدَ إلى مَن هو دونهم ممن غيَّرتْهُمُ الأحَداثُ وأصابتهم الفِتْنِةُ وتلونوا وغيَّروا [1]، فهي علامة ضلاله، وإذا نَعَتَهم

---

(١) **والتلون دلالة الفتنة** كما قال حذيفة رضي الله عنه : « مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ ، فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا، أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الفتنة» أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٨٨) بسندٍ صحيحٍ.

ولذا قال ابن تيمية في «نقض المنطق» : «أما أكثر السلف فما أعلم عن أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجوعـًا عما هو عليه».

وقال الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (٢١٦): «إِنَّ الَّذِي يُرِيدُ الشُّذُوذَ عَنِ الْحَقِّ، يَتَّبِعُ الشَّاذَّ مِنَ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، وَيَتَعَلَّقُ بِزَلَّاتِهِمْ، وَالَّذِي يَؤُمُّ الْحَقَّ فِي نَفْسِهِ يَتَّبِعُ الْمَشْهُورَ مِنْ قَوْلِ جَمَاعَتِهِمْ، وَيَنْقَلِبُ مَعَ جُمْهُورِهِمْ، فَهُمَا آيَتَانِ بَيِّنَتَانِ يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَى اتِّبَاعِ الرَّجُلِ، وَعَلَى ابْتِدَاعِهِ».

ويقول شيخ الإسلام في « درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٥٦):

«فكل من أعرض عن الطريقة السلفية الشرعية الإلهية، فإنه لا بد أن يضل ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط» اهـ .

وراجع كلامي وأدلته في هذا الباب في الطبعة الثانية من كتابي: «عقيدة المسلم الصغير»، أجارك الله من اللعب بالأدلة، لذا سقت لك كلام الإمامين ابن تيمية والدارمي، والله الموفق .

بالعُلماءِ، فهو ظالمٌ لِنَفسِهِ ولغيره، وبالتالي سَيُفرِّط في حقوقِ العُلَمَاءِ الحقيقيين متى ذُكِروا له، لأنَّه لا يَعرِفُ العَالِمَ مِنْ غيره ...

هذه نتيجة حتمية.

والأولى بمن هذا حاله أن يَسعى لمعرفة العَالِم من غيره، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أن يصل إليه إِلَّا إذا فَهِمَ مَاهِيَّةَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَعَلِمَ صفات العَالِمِ ومعالمه، وهَضَم منهجَ أهل السُّنَّة من السَلفِ، حتى يميز بين هذا وذاك.

وما أحوج كثير ممن يُشار إليهم بالبنان إلى ذلك.

وإلا فوَصْفُ شخصٍ بأنَّه عالم، وليس هو بعالم، ظلمٌ للموصوف وظلمٌ للعَالِم الحق وظلمٌ للمُقتَدي.

وعليه إثم هذه الجناية التي أشار إليها رسول الله ﷺ حيث قال: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

فهذا حال هؤلاء المساكين! أَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا حينما اعتقدوا، وضَلَّلوا غيرهم، حينما بهم اقتدوا.

فأبصر توجيهات الألباني، وابن باز، وابن عثيمين، والفوزان، وربيع المدخلي، وعلماء اللجنة الدائمة، ومقبل بن هادي الوادعيُّ ... .

أَبصِرْ توجيهات هؤلاء في بلادهم- وهي منبعثة من منهج أهل السُّنَّة -، وتوجيهات المخالفين في بلادهم- وهي من آراء أصحاب الْأَهْوَاءِ - تَرَ عاقبتها خُسْراً، وآثارُ القوم تدل عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري وغيره.

وإن تعجب فأعجب مِن رجل يعارض هؤلاء في قولهم في بدعية الأحزاب واجتنابها بقول أمراء اختراع التحزب والبدع الخارجية الذين ملأت فتنهم الدنيا، يقول: «هؤلاء علماء، وهؤلاء علماء»، يعني: يجوز تقليد الجميع!! وتالله إنها لإحدى الكُبَر – وَيْحَه، ماذا عند هذا المخبول الذي فقد الوعي المنهجي.

وماذا ينتظر في توجيه هؤلاء إن قُلِّدوا ...؟

ومَن يُهِنِ الله فما له مِن مُكرم، ونعوذ بالله من الخُذلان.

نسأل الله أن يهيئَ لهذه الأمة أمر رُشْدٍ، يُعَزُّ فيه أهلُ العِلم، وَتُعلَمُ حقوقهم، وتنشر مَسَالِكَهُمْ في النَّاس، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قبَّح الله التعددية الحزبية وأزالها، فالحزبية تُعْمِي وتصم، وقطع الله دابرها.

❁ فأمُ سلمة رضي الله عنها تقول: «إن نبيكم – ﷺ – قد برئ ممن فرَّق دينه واحتزب»، وقرأت: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} (الأنعام:١٥٩).

❁ يقول عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْتَكِضُ**».[1]

فقوله ﷺ: «فَارَقَ الْجَمَاعَةَ» و«يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ».

لم يقل جماعات.

❁ **وقال ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ،...»**[2].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤٥٧٧) بسندٍ صحيحٍ، وبنحو منه عند مسلم (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

ولم يقل جماعات.

❁ **وقال ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»**[١].

ولم يقل جماعات.

❁ **وقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»**[٢].

ولم يقل جماعات.

❁ ولما ذكر رسول الله ﷺ حديث افتراق الأمة على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قال: «**وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[٣].

ولم يقل جماعات .

❁ وقد قال رسول الله ﷺ «**مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».[٤]

وقد قال الله تعالى: {**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**...} .

وهم يُجَوِّزون تعدد الجماعات فتتفرق، قبَّح الله الهوى، الحزبية تعمي وتصم عند النظر في الحق، فأفٍّ لها أفٍّ، خراءُ الكلب- والله- أحسن رائحة من نتن الحزبية.

نعَمْ، لم يجمع الله أمة محمد على ضلالة أبداً، كما قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه.[٥]

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (٤٨٤٧).

(٣) وصححه بعض العلماء وقد علقت على سنده عند شرحي لشرح السنة للبربهاري، وسنده حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في (السُّنَّة) (٨٥) وهو ثابت.

فلزوم الجماعة التي هي مع السلطان عصامة، لكنهم يعددونها ليجابهوا بها السلطان بحججٍ كبيوت العنكبوت.

القسم الثاني

حقوق الْعُلَمَاءِ على الْأُمَّةِ

لأهل الْعِلْمِ حقوق على أفراد وجماعات الأُمة، ولهم حقوق على الأمراء، ولهم حقوق على بعضهم.

حقوق الْعُلَمَاءِ على الأفراد والجماعات:

من ذلك: توقيرُهم وَإِجْلَالهم، ونَشْرُ خيرهم في الْأُمَّةِ، والدفاع عنهم ضد الْجَهْلِة والسَّفَلَةِ وَالْفُسَّاقِ مِمَّنْ يَجْهَلُ عليهم.

وقد أخرج مَعْمَر في «الجامع» بِإِسْنَاد صَحِيحٍ عن ابْن طَاوُوس عن أبيه رحمه الله قال: «مِنَ السُّنَّة أَنْ يُوَقَّرَ أَرْبَعَةٌ: الْعَالِم، وَذُوالشَّيْبَةِ، وَالسُّلْطَانُ، وَالْوَالِدُ».(١)

وأخرج أبو داود(٢) بإسنادٍ يُحسَّن عَن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**».

فكيف يكون إكرام العَالم الذي هو أرفع مِنْ ذي الشيبة؟!

وقد أخذ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال:

«هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا».(٣)

وابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يبلغه الحديث عن رجل سمع الحديث من رسول الله، فيجده قَائِلاً، فيَتَوَسَّدُ رداءه على بابه، تَسفُّه الرياح في وجهه حتى يخرج، فَيَقُولُ:

---

(١) أخرجه معمر «الجامع» (٢٠١٣٣ مصنف).

(٢) برقم (٤٨٤٣) وقد أخرجه أيضا الحسين المروزي في «زوائد الزهد» (٣٨٨) وغيره كثير. والحديث ثبتَّه بعض الْعُلماءُ: حسَّنه العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ١١٥٥) وغيره، وإن كانت كلمة «المُقْسِط» في الحديث في تقويتها نظر، كما أشرت إلى ذلك في غير هذا الموطن.

(٣) كما حررت ذلك في كتابي «طالب الْعِلْمِ حقوقه وآدابه».

مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ؟ فَأَقُولُ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ»، فَيَقُولُ: فَهَلَّا بَعَثْتَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ، فَأَقُولُ: «أَنَا كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ آتِيَكَ ... الأثر»[1].

مع أنه ابن عباس وهو مَن؟ وعنده، وعنده ... رضي الله عنه !

إِنَّ القَدْحَ فِي الْعُلَمَاءِ، إِنَّما يَصْدُرُ مِنْ أَحَدِ رَجُلَيْنِ:[2]

فاسق منافق يكيد العداء للإسلام وتعاليمه، فله مَقْصِدٌ سَيِّءٌ، وهؤلاء في زماننا من أبناء العلمانيين، والشيوعيين، والأحزاب المنحرفة، مثل حزب البعث وبعض المبتدعة....الخ

وهؤلاء أشباه المنافقين الَّذِينَ قدحوا في القرَّاء يوم حزب ابن سلول – عليه لعنة الله – فهؤلاء أئمة أولئك في قدحهم العلماء.

والثاني مَخْدُوعٌ مُغَرَّرٌ به، يُصاغ له بَاطِل في قَالبِ حَقٍ، فيَخَالُهُ صِدْقًا.

من أمثال من تربَّى على أيدي أَهْلِ الْبِدَعِ من الخوارج والمنحرفين عَن الْقَصْدِ.

وكثير منهم نواياهم حسنة، لكن مُضَلَّلون – في أيامنا – غَابَ عَنْهُمْ الْمنْهَج الَّذِي عليه أَهْلُ السُّنَّةِ في معاملة الحكام – مثلاً –، فَيَتَصوَّر أنَّ الْعَالِم إذا لم يصدع بأخطاء الأمراء على المنابر وفي المجتمع ويُسَمِّي الآمراء، فليس صدَّاعًا بالحقِّ، وإنَّما هو كاتمٌ للحقِّ، يُداهن الحُكَّام....الخ، تُسْقَطُ هيبته وَيُقْدَحُ فيه.

وسببُ هذا غياب منهج أَهْلِ السُّنَّةِ عنه في الباب.

---

(١) أخرجه عبد الله في «زوائد الفضائل» (١٩٢٥) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٤٤) رقم (١٠٥٩٢) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٠٧) بسندٍ صحيحٍ.

(٢) وانظر كتاب «مَنْ هُمْ الْعُلَمَاءُ» لعبد السلام برجس رحمه الله بتصرف.

فإنَّ نُصحَ الحُكَّام إنَّما يكون فِي السِّرِّ، فيما بين الناصح وبينه، والتأدب مع الأمراء دِينٌ، فَينصَحُ الحُكَّامَ، ولكن بأَدَبٍ وَفِي السِّرِّ.

أمَّا الجاهرُ على الأمراء، الناصحُ لهم من على المنابر وفي المجامع، فهَذَا مُخَالِفٌ لِلْهَدْيِ؛وهو عند المنحرف: صَدَّاعٌ بِالْحَقِّ،لَا يَخْشَى فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ... الخ.

فمن هنا جاء الانْحِرَافُ بسَبَبِ فَسادِ التَّصَوُّرِ، ظَنَّ الحَقَّ بَاطِلاً والبَاطِلَ حقـًا، صِيغَ له في صُورةِ حَقٍ، فقبله الغِرُّ لحداثته.

فصار الْمَذْمُومُ الْمُبْتَدِعُ الثائر الذي يَنَشُرُ الْفِتَنَ في المجتمع ممدوحـًا؛ وصار السُّنِّيُّ الْمُتَّبِعُ لِلصَّحَابَةِ ممن يمتثلون منهج أسامة بن زيد وعبد الله بن أبي أوفى وابن عَبَّاس رضي الله عنهم وغيرهم – وهؤلاء على نهج نبيهم ﷺ يسيرون – صار السُّنِّيُّ الْمُتَّبِعُ لهؤلاء مذمومـًا مقدوحـًا فيه عند أولئك الْخَالِفِينَ، جبانـًا، عميلاً لمصلحة الحُكَّامِ، وهذا سبب قدح هذه الطبقة في العلماء.

ثم تجده يَشْتَدُّ جداً في التنفير من قدح العلماء، ويظن أنَّه يدافع عنهم، في الوقت الَّذِي هو يهجم فيه على العلماء بَحَق – أهْل السُّنَّةِ – ويسيء إليهم، يَقْدَحُ فيهم ويُنَفِّرُ عنهم، فتجده يَقدحُ في علماء السُّنَّة. أمَّا من يدافعَ عنهم– هذا المُغَرَّرُ به – فإنهم خوارج وأهل بِدَعٍ، فيسبون عُلَمَاءَ السُّنَّةِ بحجة الدفاع عن العُلماءِ (الَّذِينَ هم في حقيقة الأمر أهل بدع وأهواء وانحراف وضلالات) ... لَا حُرْمَةَ لَهُمْ ... ضُلَّال ... .

وأحيانـًا يكذب على أهل الْعِلْمِ، وَيُنفِّر عنهم، ويَتَقوَّلُ عليهم ما لم يقولوا به لِيُنَفِّرَ النَّاسَ عنهم اتباعـًا للكذابين الذين اتبعهم هذا الغرُّ.[1]

---

(١) وهذا الضرب كان قديمـًا، وذكرهم الإمام السجزي – المتوفي سنة ٤٤٤ هـ – في رسالته لأهل زبيد ص٣٠٨، وهو يحكي جرائمهم يقول: «ما ارتكبه أهل الوقت منهم، خصوصـًا =

فعَلَى العَالِمِ أنْ ينصح الأمراءَ بِرِفْقٍ وأدَبٍ، وفي السِّرِّ، قَبِلَوا أم لم يقبلوا، فالقبول منهم لم يوجبه الله تعالى على العَالِمِ، فمن الأمَرَاء مَنْ يُنصَح فينتصح، ومنهم مِنْ يعترض بحق إذا نُصِحَو، ومنهم مَن يعترض بباطل، ومنهم مَنْ لا يُعْلَمُ – إذا نُصِحَ – انتصح أم لا؛ أربعة أحوال :

◆ **فمن الأول (المُنتَصح) :**

❁ قبول عمر رضي الله عنه نصيحةَ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حينما أراد أن يقول مقالة في الحج عَلَى الْمَلَإِ [(١)]، وما له لا يقبل وقد قَبِلَ رسولُ الله ﷺ رأيه في مواطن.[(٢)]

❁ قبول معاوية رضي الله عنه نُصحَ عمرو بن عبسة رضي الله عنه حين أخبره بحديث «يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ» وكان النُصحُ فيما بينه وبينه.[(٣)]

❁ قبول معاوية رضي الله عنه قولَ المسورِ بن مخرمة رضي الله عنه وَنُصحَهُ، وكان النصحُ فيما بينه وبينه.[(٤)]

◆ **ومن الثاني: (من يعترض) وهؤلاء قسمان:**

=

من كان منهم من المغاربة، وهو أن كل من يخالفهم نسبوه إلى سَبِّ الْعُلَمَاءِ لِيُنَفِّروا قلوب العَوامِّ عنه وقرفوه – أي قوَّلوه – بأقاويل لا يقول بها ولا يعتقدها بُهتًا منهم وكذبا؛ كأنَّ البهتان والكذب لا قبح لهما في العقل، وإنما عُلم قبحهما بالسمع، والقائلون بخلاف قولهم ضلال عندهم ولاحرمة لهم»؛ كذا وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله، فمِن ضئضهم خرجِ هؤلاء.

(١) وهذا في صحيح البخاري (٦٨٣٠) وغيره..

(٢) انظر: البخاري (١٢٦٩) ومسلم (٢٤٠٠) في الصلاة على ابن سلول، وفي صحيح مسلم (٣١) في اعتراضه على بشارة للقوم في فضل لا إله إلا الله، وفي صحيح مسلم (١٧٦٣) في شأن أُسَارى بدر، وفيما وافق فيه ربَّه سبحانه...

(٣) وهذا عندأبي داود (٢٧٥٩) وبعض أصحاب السُنن بسندٍ صحيحٍ.

(٤) كما عند عبد الرزاق (٢٠٧١٧) وابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٢٣) بسندٍ صحيحٍ.

مُعْترض بحق ومُعْترض بباطل:

❁ فمن الاعتراض بالحَقِّ:

اعتراض أبي بكر على عمر حينما أراد المنعَ مِن قتال مانعي الزكاة[١]، وفي جَمْعِ القرآن، وقد اعترض أبوبكر الخليفة على توجيه مِن عمر في جَمْعِ القرآن، وكان الحق مع عمر ، فرجع أبوبكر إليه.[٢]

وكذا اعتراض مُعاويةَ على المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ حينما نصحه المِسْوَرُ بْنِ مَخْرَمَةَ. وهذا اعتراض مِن مُعاويةَ بحق.[٣]

❁ ومن الاعتراض بالباطل (وهو النوع الثالث):

اعتراض عمرو بن سعيد حينما كان يبعث البعوث للقتال في الحرم يوم حربهم لابن الزبير رضي الله عنه، اعترض على أبي شُريح العدوي رضي الله عنه وكان الحَقُّ مع أبي شُريح رضي الله عنه[٤]، لأن عمرو بن سعيد إنما اعترض بعقله وهواه على حديث رسول الله ﷺ. فأنَّى له الحق؟

واعتراض مروان بن الحكم على أبي سعيد رضي الله عنه ومَنْ معه: أنَّ الصلاة قبل الخطبة يوم العيد. اعترض وكان على باطل[٥]،

كذلك اعتراض الحَجَّاج الثقفي حينما أنكر عليه ابن عمر رضي الله عنهما دعواه: أنَّ ابن الزبير حَرَّف كتاب الله، وكان الحَجَّاجُ مخطئًا على باطل... .[٦]

---

(١) كما في صحيح البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠).

(٢) كما في صحيح البخاري (٤٦٧٩).

(٣) كما في قصة لقائه به عند عبد الرزاق (٢٠٧١٧).

(٤) وهذا في صحيح البخاري (١٠٤) ومسلم (١٣٥٤).

(٥) وهذا في صحيح مسلم (٤٩).

(٦) وهذا أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٤/ ١٨٤) بإسنادٍ حسنٍ

◆والرابع حكام يُنصَحون، ولا نعلم استجابوا أم لا:

❁ من ذلك: نُصحُ ابن عمر رضي الله عنهما للحَجَّاج في إدخاله السلاح الحَرَمَ[١]، لم يظهر هل استجاب أم لا.

❁ ونُصح أسامة بن زيد عثمانَ سِراً، ولم يُنقل رأي عثمان رضي الله عنه.[٢]

❁ ونَصَحَ عائذُ بن عمرو رضي الله عنه عبيد الله بن زياد، وما يُعلم استجاب أم لا؟[٣]

❁ وَنَصَحَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عُبَيْدَ اللهِ بن زِيَاد، وما يُعلم استجاب أم لا[٤]؟ فماذا كان من الناصح؟

لكن: الجامع لهذا كله طريقة النُصحِ فيما بينه وبين الحاكم: وجُوبُ النُّصحِ وبأدبٍ، ويقوم بها الكبار مِنْ أهل العلم، وليس على العالم الناصح للحاكم إِلَّا هذا، فلا يُطَالَبُ العَالِمُ بنتيجة من الحاكم فهذا ليس إِلَّا لله عزَّ وجل وحده ، هو القادر على ذلك إذ الهداية بيده.

وراجع مواقف السَّلفِ في كتابنا: «نصح الحكام بين الغلو والتفريط».

لكنَّ الخوارجَ لا يعترفون بالنُصحِ سِراً إذا لم يُجد فائدة، وهذا هو مُعتَقَد أهلِ البِدَعِ لا أهل السُّنَّة، يتعلَّلون بعدم قبوله للتسويغ لمنابزته علناً، مع أنَّهم قد يكونون مُخطئين في اعتراضهم أصلاً.

فعَلى العَالِمِ أن يُنكرَ وَيُصَحِّحَ وينصح، ولكنَّ الإستجابة ليست إلى العَالِمِ، فَمَنْ كَرِهَ بَرِيء، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ ولا إثم عليه.[١]

---

(١) وهذا في صحيح البخاري (٩٦٦).

(٢) كما في صحيح البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩).

(٣) وهذا في صحيح مسلم (١٨٣٠).

(٤) وهذا في صحيح مسلم (٢٢٤).

العُلماءُ ينصحون فإن اُسْتُجِيب لهم، فالحمد لله، وإلاَّ كانوا قد أدوا الذي عليهم، سواء غَيَّرَ الأمُراء المُنْكَر أم لا.

فلا تلازُم بين إنكار المُنكَرِ وبين تغييره، فالخوارج يرون أن المنكر إذا لم يتغير بالنصح سِراً، أنَّه ينصح علانية، بل يرون النصح علانية للأمراء أصالة، وهذا لجهلهم بالشرع والواقع، ثم يقدحون في العلماء الذين لا يُعلنون بالنُصح سرَّاً، ويرمُونهم بالمداهنة، وأنَّهُم علماء السُلطان ... الخ، ويُسيئون الظَّنَّ بهم، هذا مما أدخله الشيطانُ على هؤلاء الجَهَلةِ بسبب حِرمَانِهِمْ من العِلمِ والسُّنةِ.

قال الشيخ عبد السلام برجس رَحِمَهُ اللَّهُ:(٢)

«والعجب انطلاق البعض في قدح الْعُلَمَاء من جانب آخر لا يتطرَّق إليه القدح عِنْدَ السَّالمين من الهوى، فالَّذِي يقدح في الْعُلَماء لأنهم لم يُبينوا لِلنَّاسِ أمورَ السياسة، فيقول مثلاً: ما قيمة الْعَالِم إذا لم يبين لِلنَّاسِ قضاياهم السياسية، التي هي من أهم القضايا التي يحتاجون إليها، والتي تتعلَّق بمصالح الْأُمَّةِ. فهذا القائل ما أصاب في القدح؛ لأن الْعُلَمَاء كتبوا، وألَّفُوا، ودرسوا السياسة الشرعية التي جاء بها الشرع ووضحها، ونطقت بها النصوص، وهذا هو المطلوب منهم شرعـًا، أما إنْ كان مراده بيان الأخبار السياسية في المصطلح الحديث، كوقوع حرب في المكان الفلاني، وسقوط مدينة كابُل من أيدي الشيوعيين إلى أيدي

=

(١) ففي صحيح مسلم (١٨٥٤) عن أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»**.

وراجع شرح العلماء على الحديث تبصر الحَقَّ، فمن عجز عن إزالة المُنكر لا يأثم بمجرد السكوت إذا كره بقلبه، فضلاً عن أن يكون أنكَرَ في السِّرِ فيما بينه وبين الحكَّام.

(٢) في كتابه «من هم الْعُلَمَاء».

المشركين، وسجن واعتقال فلان وفلان، فهذا ليس من وظيفة الْعُلَمَاء المطالَبين بها، وإنما هم مطالبون ببيان الأحكام الشرعية في جميع القضايا التي تُعرض في المجتمع، أو تقع في المجتمع، فإن عليهم أن يُبينوا حكمَها الشرعي، لذلك هل تجد الإمام أحمد أو ابن تيمية أو ابن القيم أو ابن عبد الوهاب يتكلمون في مثل هذه السياسات، يتكلمون في مثل الآن أحوال السودان، أحوال البوسنة والهرسك ؟ لا؛ لأنّ هذه بالجملة وظيفة ولي الأمر أو من يُنيبه في ذلك، ولكي يكون الْكَلَام أدق فإني أقول: إنّ الغالب بل الأغلب على عُلَمَاء الْأُمَّةِ عدم الخوض في هذه الأمور، وإن سألتَ عن الحجة فهذه مؤلفاتهم تفصح عن ذلك، نعم يَحثُّون النَّاس على الجهاد وعلى الإنفاق، ونحو ذلك، أما أن يكون الْعُلَمَاء وكالة أنباء، فهذا ننزه عنه الْعُلَمَاء.[1]

---

(١) إن تناول العلماء لمثل هذه السياسات يجرُّ ويُجَرِّئ العامة والرويبضة على تناول هذه الأمور تلقائياً، وحسبك بالمفاسد إذا تناول الرويبضة أمورَ العامة بالاعتراضات والتحليلات والتنظيرات، وإعمال التفاهة في قوانين الجرح والتعديل في التصويب والتخطئة، فإن أولئك يخرجون بنتائج تضحك الثكلى.

قال الشيخ العثيمين في«شرح رياض الصالحين»(٦/ ٢٢٥):

«السوقة وعامة الناس لا يصلحون لمثل هذه الأمور ولا لأمور السياسة وليس لعامة الناس أن يلوكوا ألسنتهم بسياسة ولاة الأمور، السياسة لها أناس والصحون والقدور لها أناس آخرون ، ولو أن السياسة صارت تلاك بين ألسن عامة الناس فسدت الدنيا لأن العامي ليس عنده علم، وليس عنده عقل، وليس عنده تفكير، وعقله وفكره لا يتجاوز قدمه، ويدل لهذا قول الله تعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به} ونشروه قال تعالى: {ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم} دل هذا على أن العامة ليسوا كأولي الأمر وأولي الرأي والمشورة فليس الكلام في السياسة من المجالات العامة ومن أراد أن تكون العامة مشاركة لولاة الأمور في سياستها وفي رأيها وفكرها فقد ضل ضلالاً بعيداً وخرج عن هدي الصحابة رضي الله عنهم وهدي الخلفاء الراشدين ،وهدي سلف الأمة » اهـ

علماؤنا رحمة الله عليهم وحفظ الله حَيَّهم يعتقدون شرعية الدولة، ووجوبَ السمع والطَاعَة لها، وبما أنهم كَذَلِك فهم يدركون أن هذه الأمور من حقوق الولاة بالجملة ، فلا يخوضون فيها، وأما من يخوض فيها وينتقد الْعُلَمَاء إذا لم يتكلموا فيها، أو من يوجبها على أعيان الْعُلَمَاء وطلبة العِلْم، فيقرنها بمسائل الْعِلْمِ الضرورية، فهو مفتون مُغرِض، أو جَاهِل مُفرِّط.

ومن أشنع القدح في الْعُلَمَاء التهكُّم بهم، عن طريق وصفهم بالانطواء على مسألة من الشرع هي من جملة عملهم، كما يقول بعضهم عُلَمَاء حيض ونفاس.

نعم، هم – ولله الحمد – عُلَمَاء وفقهاء في هذين البابين العظيمين، الَّذين ينبني عليهما الأحكام في العبادات والمعاملات والنكاح والطلاق شيء كثير.

النَّاس أحوج إلى معرفته من الطعام والشراب، فضلاً عن معرفة أحوال القتال الأفغاني والحكومة السودانية، ونحو ذلك.

ولو وكلتَ إحدى الفتاوى العويصة في هذين البابين إلى أكبر فقهاء الْوَاقِع – كما يُقَالُ– لأعجم على لسانه، ولم يستطع أن يتكلم في الحيض والنفاس، فكيف بالله يتكلم في قضايا الْأُمَّةِ التي يقولون؟

هذا عين الْجَهْلِ وعلامة الهوى، وبعضهم يقول ليس للعلماء في أكثر من بلد إسلامية إلا مسألتان:

- إعلان دخول رمضان وخروجه.
- والهجوم على من يسمونهم بالمتطرفين.

نعم! هذا – ولله الحمد– مدح وليس عيباً، فهم يعتنون بدخول شهر الصوم، الَّذِي هو الركن الرابع من أركان الْإِسْلَامَ، حتى لا يُقدِّم المسلمون يوماً أو يؤخرون يوماً في فريضة الصيام.

و كَذَلِك هم يهاجمون المتطرفين؛ لأن التطرُّف مذموم شرعـًا، وكَذَلِك مذموم عقلاً، ولذلك لما أصدر أحد المتطرفين كتابه المسمّى«معالم في الطريق» تصدّى له الْعُلَمَاء، فبينوا له تطرفه ومجانبته للصواب وموافقته أو تبنيه لفكر الخوارج، ومن هؤلاء مفتي الأزهر وشيخ مصر في ذلك الوقت «حسن مأموم»، والشيخ «عبد اللطيف السبكي»، والشيخ «محمد المدني»، وغيرهم، وأصدر هؤلاء فتاويهم بِجَهْلِ مؤلِّفِ ذلك الكتاب وتخطئته وتضليله في هذا الكتاب

فهذا من مناقب الْعُلَمَاء وبيان فضلهم على النَّاس، لا من معايبهم ومن مَنَاقِصِهِم». ا.هـ

نعم:

إنَّ ضرورة إرتباط الْعَامَّة بالْعُلَمَاء – بل والخاصة أحيانـًا – من الأهمية بمكان، ومعرفتهم بالْعُلَمَاءِ ضرورةٌ حتميةٌ، إذ كيف يسلكون طريقةَ أهل الْعِلْمِ، التي هي السُّنة ؟.

فربطُ النَّاس – لَا سِيمَا الْعَامَّة – بعلمائهم من أَهْل السُّنَّةِ ضرورةٌ حتميةٌ.

فإنَّ الْعَامَّة لا يميزون بين الْغَثِّ وَالسَّمِينِ بمفردهم، والْعُلَمَاء يُبَصِّرُونَهُمْ في ذلك، والله تعالى أمر بسؤالهم، فقال: «**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون**» [النحل:٤٣]، فإذا غَابَ الْعُلَمَاء عنهم، فإلى أي اتجاه يسيرون؟

فهذا هو سبيلهم الوحيد للوصول إلى الصواب، تقليدُ عُلماء الأمة، علماء أهل السُّنَّةِ، لا المبتدعة الذين يضفي المفتون عليهم مكانة العُلماء.

ولذا كانوا يَمتحنون أَهْل السُّنَّةِ من أهل الْبِدَعِة قديمـًا، بأنَّ من أحب أمثال أحمد بن حنبل، ويحيى بن سعيد، وابن مهدي، واسحاق بن راهوي .. الخ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، ومن أبغضهم فهو صَاحِبُ بِدْعَةٍ؛ كذا كان ينص الْعُلَمَاء قديما من

أمثال البربهاري، والشافعي ....وراجع كتابي «علامات أهل السُّنة وعلامات أهل البدعة».

فعند غيابهم أو غياب توجيهاتهم يَتَخِذُ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً وأصاغر يَحِلُّونَ مَحَلَّ العلماء، وَحَسْبُك بِهَذَا شَرًّا.

فغِيابُ مَعرفةِ الْعُلَمَاء مدعاةٌ للتَّلَقِّي عن الأصاغر – وهم أهل الْبِدَعِ – وعمن ليس أهلاً، لا التَّعَلُّمُ عَلَى أَيْدِي الأكابر،كما تقدم بيانه.

وَأخرج ابْن حبَّان[١] بِإِسْنَاد صَحِيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**».

أي: الْمُجَرِّبِينَ للأمور، فَجَالِسُوهُمْ لتقتدوا برأيهم.

وأخرج عبد الرزاق والطبراني[٢] بإسنادٍ رجاله ثقات عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَا يَزَالُ النَّاس صَالِحِينَ مُتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا».

وقد أخرج الحسين المروزي[٣] بِإِسْنَاد حسن عن النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**».

وقد فسَّر ابن المبارك الْأَصَاغِرَ، فَقَالَ:«**الْأَصَاغِرُ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ**»،كما في «شَرْحِ أُصُولِ الإِعْتِقَادِ».[٤] وتقدم.

---

(١) برقم (٥٥٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٤٦، ٢٠٤٨٣) ومعجم الطبراني الكبير (٩/ ١١٤) رقم (٨٥٩٠).

(٣) في «زوائد الزهد»(٦١).

(٤) برقم (١٠٢).

وقد أخرج اللالكائي وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ [١] بإسنادٍ قَوِيٍّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال:

«إِنَّ أَصْدَقَ الْقِيلِ قِيلُ اللهِ.أَلَا وَإِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ ضَلَالَةٌ. أَلَا وَإِنَّ النَّاس بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، وَلَمْ يَقُمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، فَإِذَا قَامَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ فَقَدْ».

ولفظ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ: «أَلَا إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ أَكَابِرِهِمْ»

وقد عَلَّلَ ذلك الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيّ رحمه الله في كتابه «نصيحة أهل الحديث»[٢]، فَقَالَ: «لِأَنَّ الشَّيْخَ قَدْ زَالَتْ عَنْهُ مُتْعَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ وَعَجَلَتُهُ وَسَفَهُهُ وَاسْتَصْحَبَ التَّجْرِبَةَ وَالْخِبْرَةَ فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ الشُّبْهَةُ، وَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْهَوَى وَلَا يَمِيلُ بِهِ الطَّمَعُ، وَلَا يَسْتَزِلُّهُ الشَّيْطَانُ اسْتِزْلَالَ الْحَدَثِ وَمَعَ السِّنِّ الْوَقَارُ وَالْجَلَالَةُ وَالْهَيْبَةُ، وَالْحَدَثُ قَد تَدْخُلُ عَلَيْهِ هَذَه الْأُمُورُ الَّتِي أُمِنَتْ عَلَى الشَّيْخِ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَأَفْتَى هَلَكَ وَأَهْلَكَ» ا.هـ

وقد تقدم ذكر ذلك وتوضيحه.

وراجع كتابي: «علامات أهل السُّنة وعلامات أهل الأهواء والبدعة» دراسة تحليلية نقدية، يسر الله اخراجه.

(١) «شرح أصول ألإعتقاد» (١٠٠) وابن عبد البر في « الجامع » (١٠٥٤).

(٢) ص٣٠.

وختاماً:

قضية معرفة الْعُلَمَاء من غيرهم، من أصحاب السِّيَادَةِ، أو سعة الْعِلْمِ، أو العبادة – إذا لم يكونوا على السُّنَّة – من الضروري جداً.

فليس كل من تَقَفَّرَ الْعِلْمَ أو ساد قومه، أوتميز بِزُهْدِ وَعِبادَة أو فصاحة وبلاغة وحُسنِ بيان يُقَالُ عنه: «عالم»، كَلَّا، كَلَّا، ليس هذا شرطُ الوصف بعَالِم.

فالْعَالِم الَّذِي يُفْشَي في النَّاس أنه عَالِم: هو الَّذِي لزم السُّنَّة، وَأَمَّا الْآخرُ– وَإِنْ كَثُرَ علمه – تَسْمِيَته بعالم ظُلْمٌ وَضَلَالٌ وإضلال؛ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَكُلُّ مَنْ لَمْ يتأهلْ للتعليم ويَتَضَلَّعْ في العِلْم، يمنع من وصفه بالعِلْم؛ وإنَّما – إن وجَّه– فهو يتخبط، ويقُولُ عَلَى اللهِ وَفِي دينه بِغَيْرِ عِلْمٍ، فيَضِلُّ وَيُضِل.

وليس الخوارج منك ببعيد، لمَّا تَرَكُوا التَّعَلُّمَ عَلَى أَيْدِي كبار الصَّحَابَة، ماذا كانت النتيجة؟ وكذا القَدَرية.

نسأل الله أَنْ يُنَجِّيَ المسلمين مِنَ الضَّلَالِ وَالِانْحِرَافِ، وأن يُوَفِّقَهُمْ إِلَى لُزُوم علمائهم.

إنَّ الْعَالِمَ بحق هو المستمسك بكِتَابِ اللهِ وسنة رسوله ﷺ بفهم الصَّحَابَة رضي الله عنهم.

لا يَحُكُّ رأسه إلا بأثر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

لا يتَّبعُ المتشابه والشاذَّ مِن أقوال العلماء، يؤصِّلُ به منهجـاً.(١)

---

(١) هذا لا يكون عالمـاً، بل مبتدعـاً، وتقدم ذكر قول الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢١٦)): «إِنَّ الَّذِي يُرِيدُ الشُّذُوذَ عَنِ الْحَقِّ، يَتَّبِعُ الشَّاذَّ مِنَ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، وَيَتَعَلَّقُ بِزَلَّاتِهِمْ، وَالَّذِي يَؤُمُّ الْحَقَّ فِي نَفْسِهِ يَتَّبِعُ الْمَشْهُورَ مِنْ قَوْلِ جَمَاعَتِهِمْ، وَيَنْقَلِبُ مَعَ جُمْهُورِهِمْ، فَهُمَا آيَتَانِ بَيِّنَتَانِ يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَى اتِّبَاعِ الرَّجُلِ، وَعَلَى ابْتِدَاعِهِ».

=

لا ينتظم تحت حزب يرفع به خسيسته هو، أو خسيسة الحزب.ليس له هدف إلَّا دعوة النَّاسِ للكِتَابِ والسُّنَّةِ على ما فهمه سَلفُ الأمة.

متواضع إذا نُصِحَ فيقبل النصح ممن جاء به.

لا يرمي غيره بالألقاب، ولا يكذب على أحد.

بعيدٌ تَجِدُه من حظوظ النفس، ليس بلازم أن يكون عَالِمـًا بعلوم الدنيا، ولا فقه الواقع، يُشار إليه في أمورها بالبنان، ليس بلازم أن يكون خطيبـًا مفوَّهـًا سيداً في قومه معظَّمـًا، وإنما يكون ملازمـًا لهَدْي السَّلفِ، ويلزمه أن يكون قَوَّالاً بالحقِّ والسُّنَنِ، متبعـًا لنهج السَّلف.لا يخالف ما أجمع عليه العلماء، مع الأمراء، مُلَازِمًا للسَّوَادِ الْأَعْظَمِ .لا ينفَكُّ من طاعة الأمراء ما داموا مسلمين.

يتأدب مع الأُمراء في النصح، ويوقِّرهم ويحترمهم، لا ينصح لهم على ملأ ،بل في السِّرِّ فيما بينه وبينهم، مؤدَّبـًا معهم، يصدع بالحَقِّ إذا كان أَمَامَهُمْ، يمنع من يجهر عليهم أو يُسِيئُ الأدبَ معهم.

بعيدٌ عن الْفِتَنِ والدماء. لا تجده مع الهمج الرعاع ....الخ.

الْعَالِمُ الحَقُّ لا يُهَيِّجُ النَّاسَ وقت الْفِتَنِ، بل يُسَكِّنُهُمْ حتى يؤمِّنَ بلاده، كما كان على ذلك العُلماءُ قديمـًا.

لا يفعل ما يورِّطُ به إمامَه مع غيره من الأمراء.

لا تجده في غوغاء الناس ومع عوامِّهم يَهِيجُ ..

هذا الْعَالِم له حقوق:

=

وقال: « الذي يتبعُ المُشْتَبَهِ مِنَ آثارِ مُجَاهِدٍ وَحْدِهِ، ويترك الصَّحِيحَ المنصوص من آثارِ رسول الله ﷺ وأصحابه، ونُظَرَاءِ مجاهد مِن التابعين، لا يفعل هذا إلا مِن رِيبةٍ وشُذُوذٍ عَن الحَقِّ».

الحفاظ على عِرْضه ممن تكلَّم فيه بغير حق، الدفاع عنه ما أمكن تعريف الناس به، وجمعهم عليه، نَشْرُ قوله في الأمة، إحترامه، وتوقيره والتأدب معه، قضاء حوائجه الدنيوية ما أمكن[1]، والتواضع له، وإن أهمل هو حق نفسه ...

وبكل أسفٍ، بسبب الخلط بين العالم وغيره سُحِبَت مِثل هذه الحقوق لأهل البِدَع الذين هم أهلُ فِتَن، وسُلِبَت مِنْ أهل العِلمِ بِحَقٍ، فدَخَلَ الشَّرُّ، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله.

وليس بكثرة العلم وحده يُوصف المرء بكونه عالمًا:

فقد يكون العلم في الأرذال الفساق، وقد ضلَّ اليهود والنصارى على ما في أيديهم من الكتاب، ويُعزُّ الله هذا الدينَ بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم،

---

(١) وإنك لتعجب أشد العجب حينما تجد الضائقة المادية تَلُمُّ بالعالم من أهل السُّنة حتى تشغله عن تحصيله للعلم، ودعوته للناس، وبيان الحقِّ لهم... إلى غير ذلك، وعليه مسئوليات دنيوية ولا تجد مَن يعينه عليها، ولا حتى يعينه على قضاء أمور دينه مِن تحصيل كتب ومأوى له ولمن تلزمه رعايتهم... حتى يبلغ الرسالة التي يحملها، ولقد عانى حتى تعلَّم، وأخرج النسائي (٧٦٨٠) والدارمي(٣٦٧٥) بسندٍ صحيح عن جابر ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْسِمِ فَيَقُولُ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»؛ هذا في نفس الوقت الذي تجد الأموال تغدق على أهل البدع، وخطباء الفتن ينشرون ضلالهم وينفقون على الدعاية الانتخابية، وشراء الأصوات عن طريق الإحسان بالأموال إلى العوام لجلب أصواتهم، وما ذلك إلا لغياب معرفة العالم بحق عنهم، وذلك بسبب التضليل الإعلامي، وبث الإشاعات المكذوبة حول العلماء الحقيقيين، وكثرة التلبيس، ولا حول ولا قوة إلا بالذي بيده ملكوت السموات والأرض، فلا والله ما رأينا قسيسًا عند النصارى ولا راهبًا ضلِّيلاً في كنيسة – مع ما هو عليه من ضلال – يركب سيارة أجرة، بل ولا يحمل أغراضه بنفسه، ولا يمشي إلا بمرافقين يقضون له حوائجه وييسرون له أموره...فاللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل الطاعة ويُذَلُّ فيه أهل المعصية، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.

ولا يخفى أن من الثلاثة الذين تُسعَّر بهم جهنم: رجل تعلَّم، وقال: « **تَعَلَّمْتُ فيك الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ** ». والذي كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، لا شك أن عنده علماً ومع ذلك يُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى» حديثه معروف، فوَصْفُ أمثال هؤلاء بالعلم إضلال وتضليل، وعدم إنزال النَّاس منازلهم، كما بينت.

وفي سنن ابن ماجه (٤٠١٥) وغيره بإسناد رجاله مُعَّدلون وإسناده قوي، لولا عنعنة مكحول عن أنس، وهو مدلس، وقد حسّنه البوصيري، والشيخ مقبل في «نشر الصحيفة» ص١٠١ وغيره.

عن أَنَس رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ**» ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «**الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ**» قَالَ زَيْدٌ: «تَفْسِيرُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ»، إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ».

فقد يكون العالم مفتونـاً، منحرفـاً، ضالاً مضلاً، صاحب فتن ... الخ.

فَوْصفُ مَنْ هذا حاله بالعلم جريمة كبيرة وإفساد للناس، وتبديل للحقائق، والمطلوب العكس.

والمقصود من البحث بإيجاز:

١ - أن يُعْلَمَ العالم بحق، فتُحفظ مكانته وصِيتُه، ويُمْدَح، ليستمسك الناس بغرسه ويعمُ خيره ... وينزل منازله ... الخ.

٢ - ويُعلم ضده فينزَّل منزلته، ويبين حاله حتى لا ينتشر شره وفتنته وفساده، وتُبدل الحقائق، لئلا يتَّخذَ الناسُ رؤسـاً جهالاً فيضل الناس.

٣- ألا يغترَّ بصيت رجل أو بعبادته أو زهده أو رئاسته...الخ، فيُسمى عالمـًا وهو ليس كذلك فيحصل ما يحصل من اتخاذ الناس رؤسـًا جهالاً كما أشار رسول الله ﷺ.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وقبل الله تعالى العمل خالصـًا لوجهه الكريم ، ولم يجعل لأحد فيه شيئـًا.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فصل في

بعض سوء أدب أهل البدع

مع العلماء على مر التاريخ

وهذا فصل في ذكر طرف من إساءة أهل البدع لأهل العلم وافترائهم وكذبهم على العلماء على مر العصور.

قد صار هذا سمتاً لهم، وهي جريمة كبيرة يقعون فيها في كل زمان، كما ببينتها في كتابي: «ردع المجرم عن سبِّ المسلم»، لأنَّ ضررها مُتشعِّب.

إذ القدحُ في العلماء وسبُّهم، والتنقص لشأنهم والإساءة إليهم من سمة المنافقين، كما بينت ذلك في كتابي«ذم النفاق وأهله».

والعجيب أنهم يرمون غيرهم ممن خالفهم بهذه الجريمة – سب العلماء والقدح فيهم – لينفِّروا قلوب العوام عنهم.

فها أنا أذكر بعض المواقف المُخزية لهم في ذلك، بدءاً بموافقهم مع الصحابة الذين هم سادات العلماء قديماً – وهم أصحاب رسول الله ﷺ – مِنْ طعنٍ فيهم وتنقُّصٍ لأئمتهم، والإزدراء لأرائهم، فإذا عجزوا تقوَّلوا عليهم وكذبوا عليهم، ليجمعوا النَّاس على ما أرادوا ... !!

فيالله، كم من صرح لأهل السُّنة وعلمائهم هدموه ببدعهم، وكم من عالم أسقطوه في أنظار العامة والسامعين لهم، كم من داعٍ لهدي السَّلف قد أوجعوه ومتبع لهم عن الحق قد صَرَفوه ومحبٍّ لهم قد حذَروه وعادوه، ونشيط مع أهل السُّنّة، منتصرٍ لهم قد عوَّقُوه ونكَّسوه وخَبَّلوه، بل قلبوه، وما أثر مجالسة المغازلي ويعقوب للحارث المحاسبي... منك ببعيد، رَدَّهم إلى رأي جَهْم بن صفوان حتى هلكوا بسببه؛ كما قال الإمام أحمد رحمه الله.

وذلك لتعلم أن دعواهم على أهل السُّنة أنهم يسبُّون العلماء، ويطعنون فيهم اليوم هي بِنْتُ ما ذَكَره عنهم قديماً الإمام السجزي المتوفى سنة ٤٤٤ هـ.[١]

وقبله حَرْبُ الكرماني ﷺ المتوفى سنة ٢٨٠ هـ في «مسائله»[٢]، قال:

«وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة فسمَّوا بها أهل السنة، يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم والازدراء بهم عند السفهاء والجهال».

ثم ذكر قول كل فرقة مِن أهل البدع ورميها أهل السُّنة بما ليس فيها.

يفعلون هذا ويتهمون به غيرهم، «رَمَتْني بدائها وانسَلَّتْ».

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٢]، والله المستعان.

فهذه حكاية كذبهم على أهل العلم، والقول عليهم بما لم يقولوه، ونسبتهم إلى سب العلماء.

حتي أن كثيراً من أهل العلم دوَّن مما دوَّن مِنْ علامات أهل البدع: الوقيعة في أهل العلم من أهل الأثر.

❁ فيقول بعضهم على علماء السُّنة «ناصبي» لكونه لا يغلو في مدح علي بن أبي طالب ﷺ.

❁ ويقول بعضهم على علماء أهل السُّنة «مُشبِّهة»، لكونه يثبت الصفات لله تعالى، يثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسول الله ﷺ.

---

(١) راجع كلام السجزي في «رسالته إلى أهل زبيد» ص ٣٠٩ بنصه، وقد تقدم سياقه.

(٢) مسائل حرب الكرماني (٣/ ٩٨٥).

❁ ويُقِّلل بعضهم من مكانة علماء أهل السُّنة بقولهم عنهم حشوية ونابتة[١] تصغيراً لهم وتحقيراً.

❁ ويذمون أهل العلم لإثباتهم القدر بقولهم عنهم: «مُجبِّرة».

❁ وصدق أحمد بن سنان ﷺ حينما قال فيهم:

«لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مُبْتَدِعٌ إِلاَّ يُبْغِضُ أَصْحَابَ الحَدِيْثِ، وَإِذَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ بِدْعَةً نُزِعَتْ حَلاَوَةُ الحَدِيْثِ مِنْ قَلْبِهِ».[٢]

❁ يغلُّ صدره على العلماء ويقل ورعه فيتكلم في العلماء «علماء السُّنة».

❁ وما أكثر تلبيسهم على العامة، فيُسمُّون لهم المبتدعة الذين تمتلئ منهم البلاد خرابـًا، يطلقون عليهم علماء، ويقدحون في العلماء الحقيقيين، ويرمونهم بالألقاب، تراهم وكأنهم يثبطون الناس عن اتباع الشريعة!!

❁ ألم تر إلى المعتزلي الهالك عمرو بن عبيد يقول: «لو أن عليـًا وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أَجَزْته».[٣]

---

(١) يشبههم بالنبتة الصغيرة التي تكون كالحشيش تضرُّ الشجر الكبير، وقولهم حشوية لردِّهم عليهم بالآثار، وهي لا تعجبهم لمرض قلوبهم.

(٢) أخرجه الهروي في«ذم الكلام وأهله» (٢٢٩) بإسناده، وقد ذكرت سبب كراهيتهم لأهل الحديث في شرحي في «الشروح الرضية لمتون العقائد السلفية» وبأوسع في كتابي «علامات أهل السُّنة وعلامات أهل الأهواء والبدعة» بما حاصله، أن أهل الحديث يفضحون الحزبي والخارجي والمرجئي والمعتزلي والقدري والصوفي ....
فيأتيه بما يفضحه من الآثار التي تنقد غزله، فلذا يكرهونهم. .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٤/ ٧٧) بإسناد رجاله ثقات، لولا الراوي عن عمرو بن عبيد «عبد الله بن الأفطس» فهو ضعيف، وقد تركه البعض، وترجمة عمرو بن عبيد لا تسرُّ حبيبـًا، فلتراجع من كتب الرجال.

ونحوه وارد عن شيخه واصل بن عطاء.[١]

كذا يقولان قبحهما الله، وقبَّحَ مَن قال بقولهما هذا.

ولم يسلم عمرو بن عبيد المعتزلي القدري المبتدع من الكلام في أهل السنة بالقدح.

فأخرج العقيلي[٢] بسندٍ ثابت عن مُعَاذٍ[٣] قال: قَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: لَمْ أَرَ هِشَامًا عِنْدَ الْحَسَنِ قَطُّ، وَلَا جَاءَ مَعَنَا عِنْدَ الْحَسَنِ قَطُّ.

قَالَ أشعث[٤] يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ هِشَامًا عِنْدَ الْحَسَنِ، وَلَا ، وَلَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا هَانِئٍ ، إِنَّ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ هَذَا فِي هِشَام ، وَهِشَامٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ، فَإِنْ أَنْتَ أَيْضًا قُلْتَ هَذَا كُنْتَ قَدْ أَعَنْتَ عَمْرًا عَلَيْهِ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ.

انظر إلى عمرو بن عبيد هذا يقدح في هشام الدستوائي السنِّي، لماذا ؟

لكونه لم يجلس للحسن البصري!

فعمرو يرى أن عدم جلوس هشام للحسن قصور ونقص و..

أما نفيه للقدر، والقول بالاعتزال، فلا يعدُّه شيئـًا، سبحان الله!

مع أن عمرو بن عبيد لم يحضر لفحول الأئمة، ولم يأخذ بمنهجهم في القدر والأسماء والصفات ، بل يخالفهم، ولا يعد ذلك منقصة!

---

(١) ورد عنه أنه كان يطعن في عدالة أهل الجمل ويقول:«لو شهد عندي علي، وطلحة، وعائشة على باقة بَقْلٍ لم أحكم بشهادتهم»، أورده عنه الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٣٩).

(٢) في«الضعفاء» (٤/ ٣٣٤).

(٣) لعله معاذ بن معاذ العنبري.

(٤) هو أشعث بن عبد الملك الحُمراني أبو هاني.

فأبصروا يا أهل السنة! فعالكم وأقوالكم لا تجعلوها عونـًا لأهل البدع في كلامهم السخيف في أهل السنة .

فإن عدم حضور إنسان للأفاضل الكبار لا يقدح فيه إذا كان يقول بكلام أهل السنة.

آه من أهل البدع

❁ لو أبصرتهم:

والصحابة أنكروا عليهم وكذا التابعون نصحوهم– أعني الخوارج، أهل البدع –[1]، فهل انتصحوا ؟

❁ لو أبصرتهم:

والصحابة ﷺ أنكروا عليهم بدعة القدر وذمُّوهم لأجلها، فهل احترموا رأيهم والتزموا نصحهم وجعلوهم أمانـًا لهم بإتباعهم، كما قد جعلهم رسول الله أمانـًا لهذه الأمة من الضلال، أم أساءوا إليهم وضلَّلوا الناس، ولم يعتبروا بآرائهم، بل كفَّر أهل البدع الصحابة ﷺ ؟

❁ لو أبصرتهم وقد أنكر عليهم ابن مسعود بدعة الذكر الجماعي، هل امتنعوا؟

❁ لو أبصرتهم وقد أنكر عليهم خباب بن الأرت، وضرب ولده لأجل وجوده جالسـًا معهم، هل ارعووا ورجعوا؟

❁ لو أبصرتهم وابن عمر وابن عباس ﷺ أنكروا على المنازعين لأمرائهم، هل ارعووا، أم سولت لهم أنفسهم؟

---

(١) وراجع كتابي «مناصحة الخوارج ومَنْ تأثر بهم».

❁ **لو أبصرتهم** والعلماء ينهونهم عن بدعة الاعتزال أو التجهُّم أو غير ذلك من البدع، هل اتبعوهم أم رمُوهم بالفواقر؟

❁ **لو أبصرت** الروافض وقد بلغوا السبق في سوء الأدب مع العلماء من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى يوم الناس هذا، ثم- بعد ذلك - إذا نادوا بإحترام العلماء وعدم سبهم، وما أدري علماء مَنْ؟

علماء البدع والزيغ واتباع المتشابه الواجب الحذر منهم؟! أم هو التلبيس، والعياذ بالله.

❁ رأيتَ عِمرانَ بن حِطَّان الخارجي وهو يمدح عبد الرحمن بن مُلْجِم الشَّقي لضربه لعليٍّ رضي الله عنه ضربة مات منها، وعليٌّ رضي الله عنه هذا هو المقاتل على تأويل القرآن وتنزيله.[1]

كذا يفعل أهل البدع في كل زمان.

لو رأيت الجهمية وإمامهم ابن أبي دؤاد وأمثاله في زمن الإمام أحمد، ورأيت إساءتهم للعلماء من تحريش الأمراء عليهم حتى قتلوا بعضهم بأيديهم كأحمد بن نصر رحمه الله والبُوَيْطي الإمام رحمه الله وغيرهما، وسجنوا بعضهم وضربوه، كأحمد بن حنبل وغيره، وظنوا ذلك قُربة؛ لأن الجهمية الضالين أغرُوهم بذلك.

ولا تذهب بعيداً، فهذا ذو الخُوَيصرة التميمي أصلُ الخوارج وإمامُهم، أساء إلى النبي ﷺ يوم أن قَسَّم قسمة ما أعجبته- إذ لم يرضه منها[2]- كذا قال إمامهم

---

(١) فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ: لا**، قَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ: لا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ**، وَكَانَ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا..»، وقد خرَّجته في غير هذا الموطن.

(٢) فقال لرسول الله : «يا رسول الله اعْدِلْ، لَئِنْ أَمَرَكَ اللهُ أَنْ تَعْدِلَ، مَا أَرَاكَ تَعْدِلُ».

وأصلهم وأقبحهم وأكبر ضُلَّالهم، ذاك المبتدع الضَّال الذي استأذن عمر رسول الله ﷺ في قتله، إذ لا يُتصور الجَورُ من رسول الله ﷺ أصلاً !

❁ **وهل احترموا** أم سلمة رضي الله عنها حين رُفع المصحف من حجرتها وقالت: «إنَّ نبيكم برئ ممن فرق دينه واحتزب»، وتَلَتْ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[1] ؟! أم قابلوا ذلك بما قابله به الحزبيون أهل السنة اليوم؟

وهذا من سوء أدبهم مع العُلماءِ، فلا ارعووا حين تحاصبوا على الأمير الحَيِي الخليفة الراشد عثمان المُبشر بالجنَّةِ الذي تستحيي منه الملائكة، وهو يذكرهم بحديث رسول الله ﷺ في فضله ومنزلته...

فما احتجزوا - قبَّحهم الله- حتى قتلوه، ونبزوه بالألقاب، وطلبوا من البعض فنال منه[2] -يا ويحهم-.

❁ **أفيَحترمون** مَن أتي بعدهم من علماء أهل السُّنة؟

فحُقَّ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يسميهم الفاسقين.[3]

و«قَوْمٌ زَاغُوا فَأَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ».

---

(١) وهو خبر حسن، خرجته في كتابي «التوضيحات الجلية» وغيره.

(٢) طلبوا من رجل سبَّ عثمان رضي الله عنه فنهاه عبد الله بن سلام عن سبِّهِ، وهذا أخرجه ابن شبة في « تاريخ المدينة» (٣/ ١١١٠) وغيره بسندٍ صحيح، قَالَ: «بَيْنَمَا عُثْمَانُ رضي الله عنه يَخْطُبُ النَّاسَ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: لَا يَمْنَعُكَ مَكَانُ ابْنِ سَلَامٍ أَنْ تَسُبَّ نَعْثَلًا فَإِنَّهُ مِنْ شِيعَتِهِ، قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ قُلْتَ الْقَوْلَ الْعَظِيمَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْخَلِيقَةِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ». أي في طول صبره رضي الله عنه على هؤلاء الأجلاف، والله أعلم.

(٣) كما في صحيح البخاري (٤٧٢٨) وابن أبي شيبة (٧/ ٥٦٠).

فالخوارج لم يَسْلَم منهم عُلماء الصحابة، بل تفاخروا –قبحهم الله– بقتل عثمان بن عفان ﷺ وسبوا بقية الصحابة وقاتلوهم ...، أفيسلم أهل السُّنة من المتأثرين بمذهبهم اليوم؟! هيهات، هيهات.

أخرج ابن الجعد في «الجعديات»[1] بسندٍ حسنٍ عَنْ كِنَانَةَ مَوْلَى صَفِيَّةَ قَالَ: «رَأَيْتُ قَاتِلَ عُثْمَانَ، رَجُلًا أَسْوَدَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَهُوَ فِي الدَّارِ رَافِعًا يَدَيْهِ، أَوْ بَاسِطًا يَدَيْهِ يَقُولُ: أَنَا قَاتِلُ نَعْثَلٍ».

وإسناده حسن، لولا أن« كنانة مولى صفية» وإن روي عنه جمع لكن فيه بعض الكلام، والخطب في الأثار أهون إن شاء الله.

يتفاخر بقتل مُبَشَّر بالجنة، كما افتخر ابن جرموز بقتل الزبير بن العوام ومنحرفات يخصمان الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» . أو يسمع السامع أعجب من هذا ؟!!

❁ **أبصر سوء** أدبهم مع عثمان يوم أن قالوا: « نسألك كتاب الله»[2]

---

(١) «الجعديات» برقم (٢٦٦٤)

(٢) أخرج ذلك ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٠٨) بسندٍ حسنٍ عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلى ابْنِ عَفَّانَ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ: نَسْأَلُ كِتَابَ اللهِ، قَالَ: « أَوَمَا لِكِتَابِ اللهِ طَالِبٌ غَيْرُكَ؟ قَالَ: فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ أَنْ يَقْعُدَ فَأَبَى، فَحُصِبَ وَحَصَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ... الأثر، وله طرق أخرى ثَمَّ يصح بها.

أخرج أبو داود (٤٧٦٥) بسنده عن أنس رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللهِ مِنْهُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ **قَالَ**: «**التَّحْلِيقُ**»؛ وتخريجه بتوسع في «البداية والنهاية» (٨/ ٨٠) بتحقيقي.

=

أي: يحكِّمه، وهو صاحب أول يدٍ خَطَّت كتاب الله، وأرسلت به في الآفاق، فجميع مَنْ يقرأ في المصحف ويتعلم ما فيه هو في ميزان حسنات عثمان ﷺ إلى يوم القيامة!!

إنك لتعجب من هذا المخلوق حينما يقول هذه المقالة لمثل عثمان.. !

❁ أبصِرْ سوءَ أدب أهل البدع مع العلماء، يقولون لعلي بن أبي طالب ﷺ: «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ».

لقد كان حُكم الله فيهم أن جعلهم أكوامًا من اللحم، وقُطعت روؤسهم وعُلِّقت على درج دمشق على مرأى من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.

❁ طمعوا في سوء الأدب، فمن مِثْلُهم فيه؟! فلا يُتَعجبُ من صنيعهم مع أهل السُّنة.

لكن ابن عباس ﷺ الراشد الذي أعطاه الله الحكمة يقول فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، قَالَ: «هُوَ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ».(١)

=

هم – والله – المقصودون بقوله ﷺ الذي أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (٩٤٤) بإسنادٍ حسنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ تِبْرًا يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ فَقَالَ: « **وَيْحَكَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ عِنْدَ مَنْ يُلْتَمَسُ الْعَدْلُ**» ؟ ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ مِثْلُ هَذَا يَسْأَلُونَ كِتَابَ اللهِ وَهُمْ أعداؤه، يقرؤون كتاب الله مُحلَّقةً رؤوسهم، إذا خرجوا فاضربوا أعناقهم**» .

لقد صدق الحسن البصري في رده عليهم، لمَّا قالوا لعثمان ﷺ: «يَا عُثْمَانُ أَعْطِنَا كِتَابَ اللهِ. قَالَ الْحَسَنُ: أَلَا تَتَوَالَهُ يَا فَاسِقُ، ومَا يُدْرِيكَ مَا كِتَابُ اللهِ ...الأثر

أخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٣٠) بسندٍ حسنٍ.

(١) أخرج هذا ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦١) بإسنادٍ حسنٍ.

لكن رسول الله ﷺ يقول لعبد الله بن حَوالة لما ذكر له الفتنة التي تكون في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر، قال رسول الله ﷺ له: «**اتْبَعْ هَذَا فَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْحَقِّ**»، يعني عثمان رضي الله عنه.[١]

فأين هولاء وأين هَدي النبي ﷺ؟!

الله المستعان عليهم، وعلى سوء أدبهم مع الأفاضل الكرام، لكن كلام الصحابة فيهم معروف، ذكرته في غير هذا الموطن.[٢]

أمَّا هؤلاء فهم يَحْصبونه بالحصى وهوعلى المنبر، وهددوه بالقتل، ومنعوه مِن شرب الماء، وهو حافر بئر رومة، بل ما احتجزوا عنه حتى قتلوه بعدما سبُّوه وشتموه ورفعوا الصوت عليه في المسجد وهو مُحرَّم[٣]، واحزناه، بل يا غربة الإسلام حينما ينسب هؤلاء إلى الإسلام والسُّنَّة أو يُثني عليهم، كما أثنوا على حازم صلاح أبو اسماعيل، المُؤيِدُ للثورة عليه، واختاروه إماماً لبلاد المسلمين، فتبعهم العوام، ولا حول ولاقوة الا بالله؛ ودافعوا وأثنوا على سيد قطب الذي قال وقال في الطعن على عثمان .... ولا عجب.

جرأة عجيبة وسوء أدب فادح مع العلماء والأئمة.

❁ أَبصِرْهم مع الأئمة والعلماء من لدُن الصحابة إلى يوم النَّاسِ هذا.

أخرج ابن أبي شيبة وابن الجعد[٤] بسندٍ حسنٍ- واللفظ له - عن كِنَانَةُ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٩٦) بسندٍ صحيح.

(٢) راجع أقوال الصحابة فيهم ومناصحتهم لهم، وكذا التابعين في كتابي: «مناصحة الخوارج».

(٣) فعمر رضي الله عنه سأل عن رجلين من الطائف ارتفعت أصواتهما في مسجد رسول الله، فقال: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٩٥) وابن الجعد في «الجعديات» (٢٦٦٦).

قَالَ: «كُنْتُ أَقُودُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ لِتَرُدَّ عَنْ عُثْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقِيَهَا الْأَشْتَرُ فَضَرَبَ وَجْهَ بَغْلَتِهَا حَتَّى مَالَتْ، فَقَالَتْ: «رُدُّونِي لَا يَفْضَحُنِي هَذَا الْكَلْبُ»، قَالَ: فَوَضَعَتْ خَشَبًا بَيْنَ مَنْزِلِهَا وَبَيْنَ مَنْزِلِ عُثْمَانَ، يَقُلُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ».

وفي رواية ابن شبة في «تاريخ المدينة»، قال شيخه أبو عاصم حين حدَّثَ بهذا الحديث:

«لَوَدِدْتُ أَنْ تَدْعُوَ، وَاللهِ كَانَتْ قَطَعَتْهُ حِينَ يَسْتَخِفُّ بِحُرْمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».[١]

❁ حتى ما استنكفوا عن إيذاء أهل بيته، يرمون أهل بيته بالحجارة حتي أصابتهم![٢]

❁ وموقفهم مع امراته نَائِلَةَ بِنْتِ الْفُرَافِصَةِ مشهور لمَّا قتلوه.[٣]

---

(١) «تاريخ المدينة» (٤/ ١٣١١) وذلك لما جاءت وهو محصور، فَقَالَتْ: «مَا نَقَمْتُمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا لَهُ ضَامِنَةٌ. فَجَاءَ الْأَشْتَرُ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: صَفِيَّةُ، فَجَعَلَ يَضربُ وجه دابتها حَتَّى رَجَعَتْ»، سبحان الله ألا يكرم كريماً؟!

(٢) فأخرج ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٢٠)بسندٍ حسنٍ عن أبان بن عثمان قال: «لَمَّا أُلِحَّ عَلَى عُثْمَانَ بِالرَّمْيِ أَتَيْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه فَقُلْتُ: يَا عَمِّ أَهْلَكَتْنَا الْحِجَارَةُ. فَقَالَ: انْطَلِقْ يَا ابْنَ أَخِي، فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ مَعِي، فَلَمْ يَزَلْ يَرْمِي مَعَهُ حَتَّى فتر مَنْكِبَاهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي اجْمَعْ إِلَيْكَ حَشَمَكَ وَمَنْ كَانَ مِنْكَ بِسَبِيلٍ ، ثُمَّ لِيَكُنْ هَذَا شَأْنَكُمْ». وراجع تاريخ ابن عساكر (٣٩/ ٣٦٩) لبيان تصحيف في السند.

(٣) فأخرج ابن أبي شيبة (٧/ ٥٢٠) وعبدالله بن أحمد في «زوائد الفضائل» (٧٦٥) وغيرهما عن أبي سعيد مولى أبي أسيد في حكايته لما أشعروه بمِشْقَصٍ ، فَانْتَضَحَ الدَّمُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ، وَإِنَّهَا فِي الْمُصْحَفِ مَا حُكَّتْ ، وَأَخَذَتْ بِنْتُ الْفُرَافِصَةِ حُلِيَّهَا فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ ، فَلَمَّا أَشْعَرَ أَوْ قُتِلَ تَجَافَتْ أَوْ تَفَاجَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَاتَلَهَا اللهُ، مَا أَعْظَمَ عَجِيزَتَهَا، فَعَرَفْتُ أَنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الدُّنْيَا!!

❁ **أليسوا هم الذين منعوا عليـًا ﷺ** أن يدخل على عثمان ﷺ لما دعاه، فأجلسوا عليـاً كرهـاً[(١)]، وهو المقاتل على تأويله على غير معانيه، كما قاتل على تنزيله !!

وكذلك منعوا أم حبيبة أم المؤمنين ﷺ - وهي من آل بيت رسول الله ﷺ-، إذ هي من أزواجه.

قَالَ الْحَسَنُ البصري ﷺ: «لَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُهُمْ يَوْمَ الدَّارِ، قَالَ: قَالُوا: فَمَنْ، فَمَنْ؟ قَالَ: فَبَعَثُوا إِلَى أُمِّ حَبِيبَةَ، فَجَاءُوا بِهَا عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ وَمِلْحَفَةٍ قَدْ سَتَرَتْ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنَ الْبَابِ قَالُوا: مَا هَذَا؟ قَالُوا:أُمُّ حَبِيبَةَ ﷺ، قَالُوا: وَاللهِ لَا تَدْخُلُ، فَرَدُّوهَا».[(٢)]

لا كرامة عندهم لأم المؤمنين ﷺ زوجة رسول رب العالمين ولا غيرها.

ولم يعتنوا بالْمَوَدَّةِ التي في قول الله تعالى: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قرابة محمد ﷺ – يا ويحهم –.

الله تعالى يقول هذا، وهم يفعلون هذا مع أم حبيبة وَصَفِيَّة بِنْتَ حُيَيٍّ وغيرهما من أمهات المؤمنين.

فبدلاً من مودتهن إذا بهم يؤذونهنَّ!!

أليس مَن يؤذي زوجة الرجل فقد آذاه؟ والله تعالى يقول:
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [التوبة:٦١].

---

(١) إن صح سنده، وقد أخرجه ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢١٩) وغيره بسند رجاله ثقات عن أبي إدريس الخولاني ﷺ قال: « لَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُثْمَانُ أَرْسَلَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ: «أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ فَكَلِّمْهُ بِمِثْلِ هَذَا» ، فَقَالَ: «أَنْتَ رَسُولِي إِلَيْهِ» . فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَخَرَجَ مَعَهُ مُتَوَكِّئًا عَلَى يَدِهِ، فَلَمَّا كَانُوا مِنْهُ قَامَ إِلَيْهِ الْأَشْتَرُ وَأَصْحَابُهُ فَأَجْلَسُوهُ كَرْهًا، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ فَقَتَلُوهُ ».

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٩٩) بسندٍ صحيح.

❁ **أليسوا** هم الذين حصبوا عبد الله بن سلام ﷺ الحبر المبشَّر بالجنة[١]، حتى أدموا وجهه[٢]، يتهمونه بأنَّه يتعصب لعثمان، وهو ﷺ من سادات العُلماء!

❁ **أليسوا** هم الذين قرَّعوا سعد بن أبي وقاص ﷺ بالرماح حتي سقط لجنبه لدفاعه عن عثمان، وجعل يقول : هَلُمَّ فَاقْتُلُونِي فَلَقَدْ أَصَابَتْ أُمِّي اسْمِيَ إِذَنْ إِذْ سَمَّتْنِي سَعْدًا. وَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ فَنَهَاهُمْ وَقَالَ: يَا عِبَادَ اللهِ اتَّخَذْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ بُدْنًا؟

وَخَرَجَ سَعْدٌ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي فَرَرْتُ بِدِينِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنَا أَفِرُّ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ».[٣]

❁ لقد جرحوا الحسن بن علي ﷺ وهو في دار عثمان ﷺ.[٤]

❁ لو رأيتهم وقد أملُّوا عليّ بن أبي طالب ﷺ منهم حتى أَخَذَ الْمُصْحَفَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ؛ قال الراوي: حَتَّى لَأَرَى وَرَقَهُ يَتَقَعْقَعُ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهمّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَأَبْغَضْتُهُمْ وَأَبْغَضُونِي، وَحَمَلُونِي عَلَى غَيْرِ طَبِيعَتِي وَخُلُقِي

---

(١) يقول له ﷺ: «**أَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ**» أخرجه البخاري (٣٨١٣) ومسلم (٢٤٨٤)، والله تعالى يقول عنه: ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، شهد الله له بالإيمان في كتابه، وهم يهينوه.

(٢) فأخرج ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٤/ ١١٧٧) بسندٍ حسنٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ ﷺ، يُنْشِدُ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ ﷺ وَيُخْبِرُ أَنَّهُ إِنْ تَرَكُوهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّهُ يَمُوتُ، فَحَصَبَهُ النَّاسُ حَتَّى أَدْمَوْا وَجْهَهُ... » الأثر.

(٣) أخرجه ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٢٨)، وله طريق آخر.

(٤) أخرج ابن الجعد في «الجعديات» (٢٦٦٥) وابن شبه في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٧٥» بسندٍ حسنٍ عن كِنَانَةَ مَوْلَى صَفِيَّةَ قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ يَحْمِلُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا جَرِيحًا مِنْ دَارِ عُثْمَانَ ﷺ»، وتصحفت عند ابن شبة– في طريق – إلى: الحسين، و الصواب: الحسن.

وَأَخْلَاقٍ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفْ لِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اللَّهمّ أَمِتْ قُلُوبَهُمْ مَيْتَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ».(١)

❁ آه لو رأيت غلام عبد الله بن أبي أوفي الغرَّ المُغَرَّر به، وقد أبِقَ من سيده ولحق بالخوارج، فناداه الأفاضل من الصحابة وغيرهم:

يَا فَيْرُوزُ، هَذَا ابْنُ أَبِي أَوْفَى – يعنون سيده – قَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَر، قَالَ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللهِ؟!قَالُوا: يَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ.

فَقَالَ: هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ** ».(٢)

إنَّه للعُجْب والكبر الذي أهوي إبليس في جهنم، يطلبون هجرة من أصحاب رسول الله ﷺ إليهم !!

❁ آه لو رأيتهم وقد ذهب ابن عباس الحَبْر يناظرهم.

قَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، الْحلَّة الَّتِي عَلَيْك...؟ وهو يقول لهم: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،عَليهم نَزَلَ الْوَحْيُ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنُحَدِّثَنَّهُ.

وفي رواية: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُخَاصِمُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: {بَل هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}.

انظر إلى ما يرمونه به !!.

---

(١) وهذا صحيح السند أخرجه الفسوي في «المعرفة» (٢/ ٧٥١) والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ٣٨٣).

وهذا وارد عنه في أهل الكوفة.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٤١٤) وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٩٠٦)، وهو حديث حسن.

❁ **ثم تأمل** حماقتهم فيما أخذوه على أمير المؤمنين الراشد عليّ ﷺ تري سفاهة الحلم مع حداثة السن اجتمع مع سوء الأدب، انضاف إلى الجهل، بل قلة الدِّينِ – قبحهم الله –.(١)

❁ **وهم** ينصحون عليـًا أمام الأفاضل يقولون له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ – يا ويحهم –.

❁ **يخطب ابن الكواء** يوجِّه أتباعه الخوارج، لمَّا ذهب إليهم ابن عباس يناظرهم، يقول الخارجي ابْنُ الكَوَّاءِ:

«أَيَا حَمَلَةَ القُرْآنِ، هَذَا عَبدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَلْيَعرِفْهُ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: {قَوْمٌ خَصِمُونَ} فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلاَ تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللهِ».(٢)

ألم أقل الإعجاب بالنفس قد أرداهم؟

أمثل ابن الكواء – ذاك الخارجي يومها– أولى بكتاب الله من عليٍ حِبِّ الله تعالى ورسوله ﷺ ؟(٣).

رجلٌ من النبي محمد ﷺ بمنزلة هارون من موسي عليهما السلام.(٤)

وقد أمرنا رسول الله ﷺ باتباع سنته.(١)

---

(١) والقصة بطولها، سياقها وذكر سندها في كتابي «مناصحة الخوارج ومَن تأثر بهم».

(٢) أخرج هذا أبو يعلى في «مسنده» (٤٧٤) والحاكم (٢/ ١٦٥) بسندٍ ثابتٍ.

(٣) ففي صحيح البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (١٨٠٧) قوله ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**». أو قال: «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ**... الحديث».

(٤) في صحيح البخاري (٣٧٠٦) ومسلم(٢٤٠٤) قوله ﷺ لعلي ﷺ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**.. ».

فما أليق بالخارجي وبمثله أن يُقال فيهم أتباع محدثات الأمور والبدع الذين أحدثوا وغيروا وبدَّلوا بعد رسول الله ﷺ، بل ضلوا وانحرفوا بعد رسول الله ﷺ.

❁ **يا وَيْحَ إمامهم** عبد الله بن وهب الراسبي– ذاك الخارجي المبتدع الضَّالُ – إمام الخوارج في حربهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو معهم يأمر الخوارج يقول لهم: «أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ».(٢)

يسلون السيوف – يا ويحهم– لقتل من أمر الله بالاستغفار لهم(٣)، يجعلونهم بُدْنـًا، عياذاً بالله من الضَّلالِ.

يُوجِّهون أسلحتهم لحرب مَنْ جعلهم الله تعالى أمانـًا لهذه الأمة.(٤)

فيا لله، أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ !!

وأي إساءة أعظم من إساءة أهل البدع– لا سيما الخوارج– للصحابة رضي الله عنهم، وهم أحبار هذه الأمة ، هم علماء العلماء.

=

(١) فقال: « **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ...**» أخرجه بعض أصحاب السنن بسندٍ جيدٍ.

(٢) كذا في صحيح مسلم (١٠٦٦).

(٣) قال تعالي: **{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}**[الحشر:١٠].

(٤) ففي صحيح مسلم(٢٢٥٣١) قوله ﷺ: «**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**».

أفيكون هؤلاء رحمة على الأمة أم عذابـًا وهم يقتلون مَنْ بوجودهم وتعليماتهم تأمن الأمة بإذن الله؟!

فماذا يُنتظر منهم تجاه أتباع الصحابة ﷺ من العلماء ؟!

فنعوذ بالله من سوء الأدب والضَّلال والخذلان.

❁ آهٍ لو رأيتهم وأبو برزة الأسلمي ﷺ يقاتلهم.

فَبَيْنَا هُوَ يُصَلِّي على جُرُفِ نَهَرٍ، وَلِجَامُ دَابَّتِهِ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تُنَازِعُهُ وَجَعَلَ يَتْبَعُهَا وهوَ يصلي.

فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِجِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ».(١)

فَلَمَّا انْصَرَفَ مِن الصلاة، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ «وَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ - أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ - وَثَمَانِيَ وَشَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ»، وَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهَا تَرْجِعُ إِلَى مَأْلَفِهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ»!(٢)

❁ آه لو رأيت سوء أدب أهل البدع، بل إجرامهم وضلالهم وإنحرافهم وسفههم... وقد وقع عُبادة بْنِ قُرص الصحابي ﷺ في أيديهم.

فأخرج البخاري في «تاريخه»(١) بسندٍ صحيح عَنْ عُبادة بْنِ قُرص اللَّيثيّ الصحابي ﷺ، «أنه أقبل من الغَزو، فَكَانَ بالأَهواز يَبِيعُ أَثْوَابًا، فَسَمِعَ أَذَانًا فَأَقْبَلَ

---

(١) كذا يدعوا الضَّال الخبيث المُجرم على مَنْ أمرنا الله تعالى بالاستغفار له، قال تعالى:
{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}[الحشر:١٠].
وفي رواية أحمد (١٩٧٩٠) بسندٍ صحيح «وَرَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَسُبُّهُ»؛ فيا للخزي والعار، يسب ويشتم، ويدعو على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ شهد الغزوات، فكم فتح الله على يديه بلاداً، ونصر الإسلام به، وتالله لو مكث عُمْرَ نوح ﷺ ما بلغ مداً مِنْ بذله، كما قال سعيد بن زيد ﷺ، وقد أمر الله أن يُستغفر له.

(٢) والحديث بذلك أخرجه البخاري (١٢١١).

نَحْوَهُ، فَإِذَا هُوَ بالحَرُورِيَّة، فَقَالُوا: مَن أنتَ؟ فقال: أخوكم، فقالوا: أنتَ أخو الشَّيطان، فلما أرادوا قَتلَهُ قَالَ: أَما تَرضَونَ بِما رَضِيَ النَّبيُّ ﷺ مِنِّي؟ أَتَيتُهُ وأَنا مُشرِكٌ، فَشَهِدتُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمدًا رَسُولُ اللهِ، فَخَلَّى عَنِّي، فَقَتَلُوهُ».

أبصره وقد نجا من الكفار، وما نجا من الخوارج، كلاب النار!

وصدق الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ يقول عن الخوارج: «إِنَّهُم لَيَقْتلونَ مَنْ دِينُه لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّد رَسُولُ اللهِ». فأي خبث وضلال وانحراف هذا؟[٢]

❁ ومن إهانتهم وإخافتهم للأفاضل من الصحابة رضي الله عنهم .

ما أخرجه أحمد [٣] وغيره بسندٍ رجاله ثقات: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، «أَنَّ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ الْفِتْنَةِ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُ جَابِرٍ، فَقِيلَ لِجَابِرٍ: لَوْ تَنَحَّيْتَ عَنْهُ، فَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ فَنُكِّبَ، فَقَالَ: تَعِسَ مَنْ أَخَافَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنَاهُ – أَوْ أَحَدُهُمَا –: يَا أَبَتِ، وَكَيْفَ أَخَافَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ مَاتَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيَّ** »[٤].

=

(١) (٦/ ٩٣) وغيره، وتمام تخريجه في كتابي «مناصحة الخوارج» ص١٢٤.

(٢) أخرج عبد الرزاق (١٨٦٦١)بسندٍ رجاله ثقات عن الحسن البصري أَنَّه قال لِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ: «مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَحَجُّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ. فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّكَ لَتَقْتُلُ مَنْ هَذَا دِينُهُ».

(٣) «مسند أحمد» (١٤٨١٨)، وأصله صحيح.

(٤) على انقطاع فيه بذكر قصة جابر رضي الله عنه،لكن للمتن شواهد يصح بها عن رسول الله بنحو ألفاظه بل عند ابن حبان (٣٧٣٨) بسندٍ حسنٍ عن مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ»، كذا مختصراً بدون ذكر قصة جابر معهم وهي موطن الشاهد، لكن فعلهم هو هذا في كل زمان.

=

❁ لم يسلم المجتمع منهم قديماً، لا العامة ولا علماؤهم.

أخرج ابن وهب[١] بسند صحيح عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال:«قَدِمَ جَيْشٌ مِنَ الْحَرُورِيَّةِ فِي الْفِتْنَةِ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَأَغَارُوا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ وَيَقْتُلُوا مَنْ دَفَعَ عَنْ مَالِهِ وَنَفْسِهِ، حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَكَانُوا مِنْهَا مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ: اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ وَكَلِّمْهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ قِتَالٌ لِهَؤُلاءِ قُمْنَا فَقَاتَلْنَا مَعَهُمْ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ قِتَالٌ خَرَجْنَا إِلَى مَكَّةَ وَلَمْ نَعْرِضْهُمْ دِينَنَا وَدِمَاءَنَا، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ بِحِدْثَانِ مَا أُصِيبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالْحَرَّةِ، فَقَالَ ابْنُ عَيَّاشٍ: النَّاسُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِنَكْبَةٍ شَدِيدَةٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تُكَلِّمْهُمْ يَقُولُوا: نَعَمْ، ثُمَّ يَفِرُّوا عَنْكَ وَلا يُقَاتِلُوا مَعَكَ، فَلَمَّا رَأَيَا ذَلِكَ ارْتَحَلا مِنْ لَيْلَتِهِمَا وَأَنَا مَعَهُمَا وَنَاسٌ، فَلَحِقُوا بِمَكَّةَ، ثُمَّ رَدَّ اللهُ أُولَئِكَ الْحَرُورِيَّةَ عَنِ الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَقْدِمُوهَا».

وهذا طاووس:

أخرج مَعْمَرٌ[٢] عَنِ ابْنِ طَاوسٍ رحمه الله ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَتِ الْحَرُورِيَّةُ عَلَيْنَا فَرَّ أَبِي فَلَحِقَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: قَدِمَتِ الْحَرُورِيَّةُ عَلَيْنَا فَفَرَرْتُ مِنْهُمْ، وَلَوْ أَدْرَكُونِي لَقَتَلُونِي ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «أَفْلَحْتَ إِذًا وَأَنْجَحْتَ» فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ جَلَسْتُ وَبَايَعَتْهُمْ إِذَا خَشِيتُ عَلَيَّ الْفِتْنَةَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُفْتَتَنُ فِيمَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا».

❁ لو رأيتهم:

=

وبنحو من القصة أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» : «مَنْ أَخَافَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ، وَوَضَعَ رضي الله عنه يَدَهُ عَلَى خَاصِرَتَيْهِ وَقَالَ: قَدْ وَاللهِ أَخَافَنَا هَؤُلَاءِ»، وأخرجه (٢٠١٩) بسنده ومتنه، فمع هذا يقطع بصحة القصة إن شاء الله.

(١) في «الموطأ» (٦٧).

(٢) كما في « المصنف » (١٨٥٨٠).

وعَبْدُ اللهِ بْنُ خَبَّابٍ فِي أيديهم، إِذْ أَتَوْا عَلَى نَخْلٍ، فَتَنَاوَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ تَمْرَةً فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ:

«أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ أَهْلِ الْعَهْدِ، وَأَتَوْا عَلَى خِنْزِيرٍ فَنَفَخَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ: قَتَلْتَ خِنْزِيرًا مِنْ خَنَازِيرِ أَهْلِ الْعَهْدِ[1]، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حَقًّا مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: مَنْ؟ قَالَ: أَنَا ، مَا تَرَكْتُ صَلَاةً وَلَا تَرَكْتُ كَذَا وَلَا تَرَكْتُ كَذَا ؛ قَالَ: فَقَتَلُوهُ ، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَلِيٌّ قَالَ: أَقِيدُونَا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ قَالُوا: كَيْفَ نُقِيدُكَ بِهِ وَكُلُّنَا قَدْ شَرَكَ فِي دَمِهِ ، فَاسْتَحَلَّ قِتَالَهُمْ».[2]

أنظر كيف جلبوا على أنفسهم الويلات!! سفه حلم وحداثة سن.

ذكرهم بنحو ما ذكرهم به عثمان، فصادف قلوبًا أقسى من الحجر.

۞ ومن إساءتهم الأدب لعُلَمَاءِ الْأُمَّةِ، طردهم لإمامهم سعيد بن العاص الأمير الذي أمره الصحابي عثمان بن عفان ﷺ وولي إمرة المدينة لمعاوية، وكان اعتزل الفتنة، له رؤية للنبي ﷺ، ولاه عثمان ﷺ الكوفة لما عزل الوليد بن عقبة، وطرده أهل البدع أو خرجوا عليه.

أخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى حُذَيْفَةَ، وَإِلَى أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُمَا جَالِسَانِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ طَرَدَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ خَرَجَ النَّاسُ؟ فَوَاللهِ إِنَّا لَعَلَى السُّنَّةِ ، فَقَالَا: «وَكَيْفَ تَكُونُونَ عَلَى السُّنَّةِ وَقَدْ طَرَدْتُمْ إِمَامَكُمْ، وَاللهِ لَا تَكُونُونَ عَلَى السُّنَّةِ حَتَّى يُشْفِقَ الرَّاعِي وَتُنْصَحَ الرَّعِيَّةُ»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَإِنْ لَمْ يُشْفِقِ الرَّاعِي وَتُنْصَحِ الرَّعِيَّةُ فَمَا تَأْمُرُنَا؟

---

(١) انظر الورع الباهت، وغلو المتنطعين!

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٦٠) بسندٍ رجاله ثقات على انقطاع فيه، وكنت ثبَّته قبلُ .

قَالَ: نَخْرُجُ وَنَدَعُكُمْ».[١]

❁ **ومن سوء صنيعهم مع أمرائهم طعنهم عليهم، هذه سجيتهم.**[٢]

أخرج ابن أبي عاصم[٣] بإسنادٍ جيد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ وَسَّاجٍ، قَالَ:

«كَانَ صَاحِبٌ لِي يُحَدِّثُنِي عَنْ شَأْنِ الْخَوَارِجِ، وَطَعْنِهِمْ عَلَى أُمَرَائِهِمْ، فَحَجَجْتُ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عِنْدَكَ عِلْمًا، وَأُنَاسٌ بِهَذَا الْعِرَاقِ يَطْعَنُونَ عَلَى أُمَرَائِهِمْ[٤]، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ بِالضَّلَالَةِ، فَقَالَ لِي:

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ[٥] أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَلِيدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَجَعَلَ يَقْسِمُهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ لَئِنْ أَمَرَكَ اللهُ أَنْ تَعْدِلَ فَمَا أَرَاكَ أَنْ تَعْدِلَ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ مَنْ يَعْدِلُ عَلَيْهِ بَعْدِي؟**» فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «**رُدُّوهُ رُوَيْدًا**» . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِي أُمَّتِي أَخًا، لِهَذَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ**» ، ثَلَاثًا.[٦]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٣).

(٢) فمن علامات أهل البدع الطعن على الأمراء لا سيما مِن على المنابر وفي المجامع التي لا يحضروها، حتي يهيجوا الناس.

(٣) في «السُّنة» (٩٣٤).

(٤) ومَنْ كان الأمراء في زمن عبد الله بن عمرو بن العاص إلا أمثال يزيد بن معاوية فمَن بعده ممن عرفت سيرهم بما لا يُحمد، هذا دابهم « الطعن على الأمراء » .

(٥) هذه أقوال الصحابة فيكم يا مَنْ تطعنون على الأمراء وُتَلوِّنون عليهم وتُوغرون صدور النَّاس عليهم، وتستغلون جهلهم ... .

(٦) **فاستُفيد من هذا فائدتان:**

الأولي: أنَّ فيها ردّاً على من يريد أن يفرق في الطعن بين أمراء العدل والجور، فها هوعبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما لم يفرق بين الطعن على أمراء زمانه، الذين كانوا وكانوا، والطعن على قسمة =

❁ وانظر سوء أدبهم مع علمائهم يوم أن صلوا خلف أنس بن مالك، فتنطعوا وصلُّوا أربعة لم يكتفوا بصلاة ركعتين - قصر الرباعية في السفر -.[1]

=

رسول الله ﷺ هذا واضح في استدلاله – هذا مع الفارق المعلوم بين الأميرين- صلى الله وسلم على النبي محمد -.

فعبد الله بن عمرو رضي الله عنه شبَّه هذا الرجل ذا الخويصرة من الخوارج، وجزم بأن من صفاتهم الطعن على الأمراء، هذا واضح نص عليه الأئمة بلا نزاع أعلمه: أن ذا الخويصرة هذا أصل الخوارج ورأسهم، والخوارج في كل زمان من ضِئْضِئه يخرجون.

فماذا يقول المفرِّقون في الطعن بين أمراء العدل والجور، فيجعل الأدلة الآمرة بالصبر عليهم وعدم سبهم وبغضهم وغشهم ....، على أمراء العدل دون الجور؟ وهل يطعن على أمراء العدل أحدٌ يعتد به أصلاً؟!.

وماذا يُقال عن الطاعن في الأمراء على المنابر اليوم، وما أكثرهم ، لا كثرهم الله؟!

والثانية : استفدنا من أقوال الصحابة قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ولعنه الذين يطعنون على أمراء الجور- فهم الذين كانوا يومها على العراق– الله أكبر على هذا اللجام للخارجي الطاعن على المنبر، والبُلْهِ المغفَّلين– وما أكثرهم – الذين يصفِّقون ويتمايلون طربـًا من جعجعته على المنابر، وفي مجالسهم الخائبة، وقولهم في من يخالفهم، فينكر عليهم ما يفعلون– يا ويحهم – يمدحون ويثنون على من لعن عبدالله بن عمرو بن العاص والملائكة والناس أجمعين،فهؤلاء أشباههم اليوم!!

فأي حماقة هذه؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، نعوذ بالله من سوء المعتقد.

(١) مع أن رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ** ... الحديث»

أخرجه البخاري (٧٢٢) ومسلم (٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أي: لا تخالفوه في أفعال الصلاة.

وفي صحيح مسلم (٦٨٨) عَنْ مُوسَى بْنِ سَلَمَةَ الْهُذَلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: كَيْفَ أُصَلِّي إِذَا كُنْتُ بِمَكَّةَ، إِذَا لَمْ أُصَلِّ مَعَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «رَكْعَتَيْنِ سُنَّةَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ».

فهؤلاء خالفوا السُّنة والصحابة وإمامهم، ويظنون أنهم يحسنون صنعـًا !!

أخرج سعيد بن منصور وأحمد بسند حسن: عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَنَسٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَفَرَضَ لَنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِفَجِّ النَّاقَةِ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَدَخَلَ فُسْطَاطَهُ، فَقَامَ الْقَوْمُ فَصَلُّوا إِلَى رَكْعَتَيْهِ رَكْعَتَيْنِ أُخْرَاوَيْنِ، فَقَالَ لِابْنِهِ أَبِي بَكْرٍ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: يُضِيفُونَ إِلَى رَكْعَتَيْكَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ أَنَسٌ: قَبَّحَ اللهُ الْوُجُوهَ، وَاللهِ مَا أَصَابَتِ السُّنَّةَ، وَلَا قَبِلَتِ الرُّخْصَةَ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قَوْمًا يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١).

❁ وبالله، كم كانوا – أعني الصحابة – يهربون من الدماء، خلاف الخوارج المتعطشين إلى الدماء وإنها لدماء المسلمين، تصبب أيديهم منها، كما تجد ظهور قله أدبهم وسوء أخلاقهم مع علماء الصحابة الذين لم ينجوا منهم.

فأخرج البلاذري(٢) بسندٍ صحيح عن أبي نَضرةَ قَالَ: «دَخَل أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَوْمَ الْحَرَّةِ غَارًا (٣) فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَفِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَوَضَعَ أَبُو سَعِيدٍ سَيْفَهُ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بُؤْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ وَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي غَفَرَ اللهُ لَكَ».

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦١٥) وسعيد بن منصور (٢٩٠٥).

(٢) في «أنساب الأشراف» (٥/ ٣٣٥) برقم (٨٦٤)

(٣) المراد خروج أهل المدينة النبوية على الخليفة يزيد بن معاوية، لخلعه من الخلافة بقيادة عبد الله بن مطيع، وعبد الله بن حنظلة، فداهمتهم جيوش الخلافة، ووقعت معركة الحرة سنة ٦٣ هجرية.

وكان على هذا الرجل أن يمتنع عن قتال أهل المدينة كلهم - حينئذ - والاعتداء عليهم أصلاً كرامةً لأبي سعيد الخدري، بل لو أنصف لأثبت لهم كرامة، لكون الصحابة فيهم، والله المستعان.

والخبر أخرجه خليفة بن خياط[١] بلفظ: «دخل أَبُوسعيد الْخُدْرِيّ يَوْم الْحرَّة غاراً فَدخل عَلَيْهِ رجل ثُمَّ خرج، فَقَالَ لرجل من أهل الشَّام أدُلك عَلَى رجل تقتله؟[٢]، فَلَمَّا انْتهى الشَّامي إِلَى بَاب الْغَار وَقَالَ لأبي سعيد- وَفِي عَنق أَبِي سعيد السَّيْف- اخْرُج إِلَيّ، قَالَ: لَا وَإِن تدخل عَلَيّ أَقْتلك، فَدخل الشَّامي فَوضع أَبُو سعيد السَّيْف، وَقَالَ.. فذكر الأثر».

فأي إساءة لعلماء الصحابة رضي الله عنهم أعظم من إخافتهم وإرعابهم؟

وقد قال عبد الله بن شداد لعائشة رضي الله عنها عن قتال الخوارج: « وَاللهِ مَا بَعَثَ- يعني عليـًا- إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ».[٣]

وهذا من الافتيات على الإمام، وهل هناك أدهى من طعنهم وقتلهم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، الخليفة الراشد حِبِّ رسول الله ﷺ ؟

وجابر بن عبد الله رضي الله عنه قد أعطاه النبي ﷺ أوقية من ذهب وزاده قيراطـًا، قَالَ جابرُ رضي الله عنه: «فَقُلْتُ: لَا تُفَارِقْنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَكَانَ فِي كِيسٍ لِي فَأَخَذَهُ أَهْلُ الشَّامِ يَوْمَ الْحَرَّةِ».[٤]

وذلك لِنَهبِهِم مَال أهلِ المدينة.

---

(١) في«تاريخه» ص٢٣٩.

(٢) كأنها منحة – أعني قتل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - يتحفه بها ويؤثره على نفسه بها!!.

(٣)أخرج ذلك أحمد (٦٥٦) بسندٍ حسنٍ بسياق طويل.

(٤) أخرجه مسلم (٧١٥) وهو في صحيح البخاري (٢٦٠٤).

وهي من إساءتهم للأفاضل علماء الصحابة رضي الله عنهم .

حتى سرقة الأموال ما نَجَتْ أيديهم منها، ومن قبلُ سرقوا متاع عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأكلوا ماله بعد أن قتلوه ولم يهتشوا وجعلوا يضحكون، فأي أناس هؤلاء؟!

أشبه باليهود الذين قتلوا الأنبياء وأقاموا سوقهم آخر اليوم، لم يهتشوا لما فعلوا-قبَّحهم الله- أي قوم هؤلاء ؟! نسأل االله العافية.

واعجب من هذه القصة!

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه ، قَالَ: «أَتَى نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: هَلَكْتَ يَا عِمْرَانُ، قَالَ: مَا هَلَكْتُ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَا الَّذِي أَهْلَكَنِي؟ قَالُوا: قَالَ اللهُ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(١).

قَالَ: قَدْ قَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى نَفَيْنَاهُمْ، فَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، إِنْ شِئْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ، حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا: وَأَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ،

---

(١) وهو نظير ما قاله ذاك الخارجي لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، لما حكى حديث أسامة في قتل من قتله بعد أن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: «وَأَنَا وَاللهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ - يَعْنِي أُسَامَةَ -، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾؟ فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ» أخرجه مسلم (٩٦).

نعم، وهو نظير ما قاله الخارجي الآخر لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فأخرج البخاري (٤٥١٣) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وَأَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ «يَمْنَعُنِي أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي»، فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ وَقَاتِلوهُمْ حَتى لا تكونَ فِتنَة ويَكونَ الدّينُ لِلهِ ﴾ ؟ فَقَالَ: «قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللهِ».

شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ بَعَثَ جَيْشًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا لَقُوهُمْ قَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، فَمَنَحُوهُمْ أَكْتَافَهُمْ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ لُحْمَتِي عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّمْحِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي مُسْلِمٌ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْتُ، قَالَ: «وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟» مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَهَلَّا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ شَقَقْتُ بَطْنَهُ لَكُنْتُ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ، قَالَ: «**فَلَا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ**» ، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ، فَدَفَنَّاهُ فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَقَالُوا: لَعَلَّ عَدُوًّا نَبَشَهُ، فَدَفَنَّاهُ، ثُمَّ أَمَرْنَا غِلْمَانَنَا يَحْرُسُونَهُ، فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَقُلْنَا: لَعَلَّ الْغِلْمَانَ نَعَسُوا، فَدَفَنَّاهُ، ثُمَّ حَرَسْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا، فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَأَلْقَيْنَاهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الشِّعَابِ».[1]

فرسول الله ﷺ أراد أن يقف الناس على ما ظهر لهم، ويكِلُوا السرائر إلى الله، فيسلم المجتمع.

وقد كفَّروا ابنَ عمر وابنَ عباس رضي الله عنهم كما بينته في كتابي: «مناصحة الخوارج» ، فلا عجب.

❁ أبالله ما سلم منهم الصحابة الأفاضل الكبار والصغار منهم، فهل يُتَعجبُ من عدم سلامة العلماءِ منهم؟

فَعَنْ مَيْمُونَ بن مهران رحمه الله، قَالَ: «مَرَّ أَصْحَابُ نَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ عَلَى إِبِلٍ لِابْنِ عُمَرَ فَاسْتَاقُوهَا، فَجَاءَ رَاعِيهَا فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، احْتَسِبِ الْإِبِلَ. قَالَ: وَيْحَكَ وَمَا لَهَا؟ قَالَ: مَرَّ بِهَا أَصْحَابُ نَجْدَةَ فَذَهَبُوا بِهَا. قَالَ: كَيْفَ ذَهَبُوا بِالْإِبِلِ وَتَرَكُوكَ؟ قَالَ: قَدْ كَانُوا ذَهَبُوا بِي مَعَهَا، وَلَكِنِ انْفَلَتُّ. قَالَ: وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٠) بسندٍ حسنٍ.

تَرَكْتَهُمُ وَجِئْتَنِي؟ قَالَ: كُنْتَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُمْ. قَالَ: آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: فَحَلَفَ لَهُ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْتَسِبُكَ مَعَهَا قَالَ: فَأَعْتَقَهُ. قَالَ: فَمَكَثَ مَا مَكَثَ، فَأَتَاهُ آتٍ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي نَاقَتِكَ الْفُلَانِيَّةِ، وَسَمَّاهَا، هَا هِيَ تُبَاعُ فِي السُّوقِ؟ قَالَ: أَرِنِي رِدَائِي، فَلَمَّا وَضَعَهُ عَلَيْهِ وَقَامَ، جَلَسَ وَوَضَعَ رِدَائَهُ، فَقَالَ: دَعْهَا قَدْ كُنْتُ احْتَسَبْتُهَا».[1]

وما فعله«سيد قطب» في طعنه في عثمان رضي الله عنه بكثير من المقالات منك ببعيد(٢)، وأصحابه ومتبعوه يدافعون عنه ويحذون حذوه، كحازم صلاح أبي اسماعيل في زماننا وغيره، وأما عثمان رضي الله عنه وغيره من الصحابة الذين طعن فيهم مثل سيد قطب هذا- بل وبعض أنبياء الله- فليس لهم بوالٍ.

وما زالوا-أعني أهل الأهواء- يحطُّونَ عَلى مَن يقدح في سيد قطب، ويثنون على أقوامٍ يمدحون سيد بن قطب هذا، والله المستعان!

أبصر أولئك الذين قاتلوا عبد الله بن الزبير(بني أمية) وخرجوا عليه[3] كيف شقوا عصا المسلمين، وظلموا الأمير، وحاربوه، وتسببوا في القتال في الحرم، ثم قتلوه رضي الله عنه بعد، وصلبوه ميِّتًا أيامًا، وسفكوا الدم الحرام، وفعلوا في المدينة الأفاعيل، وكان الصحابة رضي الله عنهم موجودين ، فلم يحترموهم، وقد نَهَوُهُم عن ذلك، أفيَحترم أهل البدع أتباع الصحابة رضي الله عنهم بعد؟!

---

(١) أخرجه أبو داود في «الزهد»(٣٠٣)بسندٍ حسنٍ، وقد صححه الحافظ في «الإصابة» (٤/ ١٥٨) وعزاه لأبي نعيم في «الحلية».

وراجع كتابنا «مناصحة الخوارج»،تجد فيها العجب من سوء أدبهم مع سادات عُلماءِ الصحابة ثم العُلماء من بعدهم، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ .

(٢) راجع كتاب سيد قطب «العدالة الاجتماعية»- كذا سمَّاه - وغيره!

(٣) كما بيَّنته في هذا الموطن..

أخرج البخاري ومسلم [١] عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ: - وَهُوَ يَبْعَثُ البُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ - ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ، أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الغَدَ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: « **إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ** » .

فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ...الخبر.

فتأمَّل سوء أدبه مع الصحابي رضي الله عنه وهو يخبره عن النبي ﷺ بمخالفة ما يفعل، والبيان له أنه قائم في فتنة!

وتأمَّل أدب الصحابي معه في مخاطبته، وهو دونه والله، وأين الثرى من الثريا؟ الله أكبر!

كل هذا من عمرو بن سعيد ليمرِّر باطلَه، ويبرِّر أساليب بني أمية للهثهم وراء الدنيا ومناصبها، التي استلزمت القتال في حرم الله!

ولأجل تمرير ملك بني أمية- وهم ظلمة- يتفيهق فيقول – وليته ما قال-يرُدّ على الصحابي رضي الله عنه :« أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيذُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فَارًّا بِخَرْبَةٍ ».

وأي دماء كان في عنق ابن الزبير لبني أمية الذين كانوا خوارج يشعلون نار الفتن! فيا لله ! وكأنَّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان فارّاً بخربة، أوفاراً بدم، أو كان

---

(١) البخاري(١٠٤) ومسلم(١٣٥٤).

عاصيـًا، ووالله قد كانوا هم العصاة الخوارج عليه، الفارين منه بدم، فلا إله إلا الله !

أمَّا إساءتهم الأدب للمسلمين جميعاً فمعلومة.

فالخوارج يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان[١]، يستبيحون دماء المسلمين[٢] وليس خبر نَجْدة الحروري منك ببعيد.

قال نَافِعُ مولى ابن عمر: «لَمَّا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ بِنَجْدَةَ قَدْ أَقْبَلَ وَأَنَّهُ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ، وَأَنَّهُ يَسْبِي النِّسَاءَ وَيَقْتُلُ الْوِلْدَانَ ، قَالَ: إِذًا لاَ نَدَعُهُ وَذَاكَ ، وَهَمَّ بِقِتَالِهِ وَحَرَّضَ النَّاسَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ لاَ يُقَاتِلُونَ مَعَك، وَنَخَافُ أَنْ تُتْرَكَ وَحْدَك، فَتَرَكَهُ».[٣]

فهل هناك سوء أدب مع أهل العلم وأحبارهم من الصحابة أعظم من هذا؟!

ولا عجب، فعقولهم حُبلى بآراء إبليس، وكذا تجد مَنْ اعتنق آراءهم من أهل البِدع حديثـًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

لو رأيتهم وقد سفكوا الدم الحرام، وسَلُّوا السُّيُوفَ من جفونها، وَأَغَارُوا على سَرْحِ النَّاسِ!![٤]

---

(١) كما في صحيح مسلم (١٠٦٤) قال رسول الله ﷺ: «... **يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ**».

(٢) فإنهم لما قتلوا عثمان رضي الله عنه انْتَهَبُوا مَتَاعَهُ، وَقَالُوا: يَحِلُّ دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ مَالُهُ؟» أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة»(٤/ ١٢٣٠) بسندٍ حسنٍ.
«وَقَامُوا إِلَى تَابُوتِ جَوْزٍ وَعَسَلٍ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ» ويضحكون-قبحهم الله- كذا في الرواية التي بعدها بسندٍ ثابت.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»(٧/ ٥٥٣) وغيره بسندٍ صحيح.

(٤) كما في رواية مسلم (١٠٦٦).

من ألاعيب أهل أهل الأهواء والبدع:

ومن ألآعيب أهل البدع في كل زمان: استقطاب بعض الرموزِ إلى صفِّهم يستكثرون بهم، يستخلصون من بعض أهل العلم كلاماً ليكثِّروا به أتباعَهم، وينشروا باطلهم في النَّاسِ تحت اسم ذاك العالم المشهور وهذا حدث قديماً وحديثاً.

حاولوا استخلاص سَبَّه لعثمان من ابن عمر ت لمكانته في ذلك الزمان.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ، فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ، قَالَ[1]: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللهُ بِأَنْفِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ، قَالَ: هُوَ ذَاكَ بَيْتُهُ، أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: أَجَلْ. قَالَ: فَأَرْغَمَ اللهُ بِأَنْفِكَ، انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ».[2]

وقالوا لِحُذَيْفَةَ - يَوْمَ الْجُرْعَةِ -: «أَلَا تَخْرُجُ مَعَ النَّاسِ؟»، أخرجه ابن أبي

---

(١) أي ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٤)، وفي الصحيح برقم (٣٦٩٨): «جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ».

شيبة[١] بسندٍ صحيح، وتقدم قولهم لحذيفة وأبي مسعود الأنصاري : «مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ خَرَجَ النَّاسُ»، كذا يوم الجرعة حاولوا إخراجهما يتكثَّرون بهما ليتبعهما النَّاس، تلك أفاعيلهم الآثمة، قديمـًا وحديثـًا، وما أشبه الليلة بالبارحة.

تلك أفعالهم يريدون إخراج المرموقين وجذبهم إلى صفوفهم ليتكثروا بهم فيجتمع العامة عليهم.

وأيضـًا أخرج ابن سعد في «طبقاته»[٢] بسندٍ صحيحٍ عَنْ أَيُّوبَ السختياني قَالَ: «قِيلَ لِابْنِ الْأَشْعَثِ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ يُقْتَلُوا حَوْلَكَ كَمَا قُتِلُوا حَوْلَ جَمَلِ عَائِشَةَ فَأَخْرِجِ الْحَسَنَ- البصري-، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَكْرَهَهُ».

وأخرج[٣] **بإسنادٍ صحيح** عَنْ عبد الله بْنِ عَوْنٍ قَالَ: «اسْتَبْطَأَ النَّاسُ أَيَّامَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَالُوا لَهُ: أَخْرِجْ هَذَا الشَّيْخَ - يَعْنِي الْحَسَنَ-.

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بَيْنَ الْجِسْرَيْنِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.قَالَ: فَغَفَلُوا عَنْهُ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَنْهَارِ حَتَّى نَجَا مِنْهُمْ، وَكَادَ يَهْلَكُ يَوْمَئِذٍ».

وإني لأعجب منهم، وقد سَمُّوا الحسنَ مرة عِلْجـًا، فقالوا - لما نهاهم عن الخروج على حاكمهم ومقاتلته -: «نُطِيعُ هَذَا الْعِلْجَ؟ ونحن قَوْمٌ عُرْبٌ»؛ كذا يشتمونه يسبونه.

أخرج هذا ابن سعد، بسندٍ ثابت في قصة، ثم ندموا بعدها كعادة العوام.[٤]

---

(١) المصنف (٧/ ٤٥٣).

(٢) الطبقات الكبري (٧/ ١٢٠).

(٣) في طبقاته الكبري (٧/ ١٢٠).

(٤) لكن اعجب مما أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٢٠٤) بسندٍ حسنٍ عن معبد الجهني بعد فتنة بن الأشعث، وقد قاتل معبدُ الحجاجَ في المواطن كلها، قال: « لقِيت الْفُقَهَاء وَالنَّاس لم أر مثل الْحسن يَا ليتنا أطعناه، كَأَنَّهُ نادم على قِتَاله الْحجَّاج»...الله أكبر، =

هكذا أفعالهم في كل زمان؛يُخرجون كلَ مرموقٍ مشهورٍ، ولو لم يكن بذاك، ليتبعهم النَّاس فيُقال: هذا العالم فعل كذا، أو قال كذا، وما قال ذلك إلا لكونه يراه الحق، فيجذبونه ليفتنوا به، فإذا عجزوا كذبوا عليه: وادعوا إنه على رأيهم، وهي من أساليب أهل البدع لقلة ورعهم.

وكذلك فعلوا مع أيمن بن خريم، وهو رجل فاضل مختلف في صحبته.

أخرج أبو يعلى[1] بسندٍ صحيح عن الشعبي قَالَ: لَمَّا قَاتَلَ مَرْوَانُ الضَّحَّاكَ ابْنَ قَيْسٍ أَرْسَلَ إِلَى أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ الأَسَدِيِّ فَقَالَ: إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تُقَاتِلَ مَعَنَا. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي، وَعَمِّي شَهِدَا بَدْرًا، فَعَهِدَا إِلَيَّ أَنْ لاَ أُقَاتِلَ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِنْ جِئْتَنِي بِبَرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ قَاتَلْتُ مَعَكَ.فَقَالَ: اذْهَبْ، وَوَقَعَ فِيهِ وَسَبَّهُ، فَأَنْشَأَ أَيْمَنُ يَقُولُ:

وَلَسْتُ مُقَاتِلاً رَجُلاً يُصَلِّي
عَلَى سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلِيَّ إِثْمِي
مُعَاذَ اللهِ مِنْ جَهْلٍ وَطَيْشِ
أُقَاتِلُ مُسْلِمًا فِي غَيرِ شَيْءٍ
فَلَيْسَ بِنَافِعِي مَا عِشْتُ عَيْشِي

=

التاريخ يعيد نفسه؛ فيا ليت أهل البدع والأهواء في زماننا يفعلون كفعل الهالك معبد الجهني القدري، ذاك المنحرف الذي تبع المنافقين في إنكار القدر،حيث قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ آل عمران . وقال معبد الجهني المنحرف الكذاب:«لا قدر وأن الأمر أُنف»، لم يصل أهل بدع زماننا إلي ذلك، فيعترفون بمثل ما اعترف به من خطأ، ويتملَّص.

(١) مسند أبي يعلى رقم (٩٤٧) .

ولَّما تنبَّه مسلم بن يسار- الذي أخرجوه- لمثل هذا، وعَلِم ما غُرِّر به كان إذا تذكَّر هذا يبكي، ويبكي كثيراً.[1]

ألم تر إلى الحَجَّاج الثقفي يبعث الإمامَ ابنَ الإمام: سالمَ بنَ عبد الله بن عمر يقتل رجلاً، وكأنه لا يوجد من جنود الحجاج مَنْ يفعل هذا إلا سالم بن عبد الله ابن عمر؟

---

(١) فأخرج ابن سعد (٧/ ١٤٠) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ صَحِبَهُ إِلَى مَكَّةَ قَالَ: فَقَالَ لِي وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ: «إِنِّي أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرْمِ فِيهَا بِسَهْمٍ، وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمْحٍ، وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَآكَ وَاقِفًا فِي الصَّفِّ؟ فَقَالَ: «هَذَا مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ، وَاللهِ مَا وَقَفَ هَذَا الْمَوْقِفَ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ» قَالَ: «فَبَكَى، وَبَكَى حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا» قَالُوا: وَكَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً فَاضِلًا، عَابِدًا وَرِعًا، أَرْفَعَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ، حَتَّى خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَوَضَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ، وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ عَنْهُ؛ «وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ يُعَدُّ خَامِسَ خَمْسَةٍ مِنْ فُقَهَاءِ الْبَصْرَةِ» كما قال قَتَادَةُ.

أرأيت كيف يفسد أهل البدع مَن يُنسب إلى العلم ويهدمونهم ويتسببون في ضياعهم في أعين النَّاس، وهم في هذا لا يهمهم إلا ارتفاع صيتهم وما يدعون إليه من بدع وضلالات، والعياذ بالله، فأي إساءة للعلماء أعظم من هذه؟!

وأخرج هناد في «الزهد» (٤٦٣) بسندٍ فيه ضعف عن مَكْحُولٍ قال: «رَأَيْتُ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِكُمْ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ، فَبَكَى وَهُوَ سَاجِدٌ حَتَّى بَلَّ الْمَرْمَرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَمَا قَدَّمَتْهُ يَدَايَ».

قَالَ: فَيَرَوْنَ أَنَّهُ ذَكَرَ ذَاكَ الْمَشْهَدَ الَّذِي شَهِدَهُ، يَعْنِي يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ، قَالَ: وَإِذَا هُوَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ» وليس هو بمستبعد، وقد صحَّ عنه نحو هذا أنَّه فعله.

فهذا مسلم بن يسار يبكي ويندم، والندم توبة ويعترف بخطئه على الملأ، فهل من مؤتسٍ فيفعل كفعله اليوم، وقد وقع فيما وقع فيه مسلم بن يسار، وأعظم، مع أنه دون مسلم بمراحل.

ولكنه يريد أن يقال: إن العلماء مع الحجاج يقتل بأيديهم، فكان سالم كيِّسًا مُكيِّسًا- كما وصفه أبوه ﷺ - لم يفعل، وقصته عند ابن سعد[١] بسندٍ ثابت.

فإذا عجزوا عن استخلاص أقوال من المرموقين تخدمهم تقوَّلوا عليهم وكذبوا في نسبة الأقوال والأفعال إليهم.

فأشاعوا عن على بن أبي طالب أنَّه قتل أو شارك في دم عثمان وافتروا كذبًا.[٢] وزورا إشاعة، ووضعوا أحاديث على عليّ بن أبي طالب أنه يؤلب على عثمان أو شارك في قتل عثمان مع أفاضل.

كذبوا علي غيره بنحو ذلك، وهو مسطَّر عليهم في الكتب، مع أن صحيح الأسانيد عنهم بعكسه، فتقدم حصب علي بن أبي طالب لهم بالحجارة وأمره لولد عثمان وآل بيته بذلك.

فعند ابن شبَّة [٣] بسندٍ حسنٍ قول الحسن البصري:«إِنِّي لَفِي حَلْقَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِذْ جَاءَتِ الصَّيْحَةُ مِنْ دَارِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ».

وعند ابن أبي شيبة [٤] بسندٍ صحيح عن ابن عباس ﷺ قَالَ:«قَالَ عَلِيٌّ: مَا قَتَلْتُ ، وَإِنْ كُنْتُ لِقَتْلِهِ لَكَارِهًا».

هَمَّ ليمنعهم، لكن حِيلَ بينه وبين ذلك، ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً، وكيف ذلك وقد قال هو: «لَعَنَ اللهُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ، قال: وَاللهِ مَا عِبْت عُثْمَانَ إِلَى يَوْمِي هَذَا!

---

(١) فكثير هو كذبهم ...

(٢) الطبقات الكبرى (٥/ ١٥٠).

(٣) في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٢٩).

(٤) المصنف (٧/ ٥١٧) .

أخرجه ابن أبي شيبة[١] بسندٍ صحيح عن سالم بن أبي الجعد،عن ابن عباس ﷺ عنه، يحكي ذلك عن علي ﷺ. فما عابه، أيقتله؟!

وعائشة نشروا عنها نحو ذلك.

وأخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، ﷺ قَالَتْ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ: «تَرَكْتُمُوهُ كَالثَّوْبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ، ثُمَّ قَرَّبْتُمُوهُ فَذَبَحْتُمُوهُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا». قَالَ: فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: أَنْتِ كَتَبْتِ إِلَى أُنَاسٍ تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ. قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «لَا، وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا».

قَالَ الْأَعْمَشُ ﷺ[٣]: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا.[٤]

زوَّروا كتبًا على ألسنة الصحابة ﷺ إلى الآفاق، يحرِّضونهم فيها على قتال عثمان – قبحهم الله –ونحو ذلك يفعل أتباعهم اليوم.

❁ بل زوروا كتباً على عثمان وعلى ﷺ:

فأخرج ابن أبي شيبة[١] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «سَمِعَ عُثْمَانُ أَنَّ وَفْدَ أَهْلِ مِصْرَ قَدْ أَقْبَلُوا، فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَكَانَ فِي قَرْيَةٍ خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ...وبينهما قصة فيها سوء أدبهم معه ﷺ.

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٥٣٨) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٣) وغيره.

(٣) راوي الخبرعَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عنها.

(٤) وهي القائلة ﷺ :«يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا، فَأَمَّا الَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عُثْمَانَ فَوَاللهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يُنْتَهَكَ مِنْ عُثْمَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا انْتُهِكَ مِنِّي مِثْلُهُ، حَتَّى لَوْ أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ قُتِلْتُ».

وهذا ثابت عنها، فراجع تخريجه في كتابي «التوضيحات الجلية في بيان عقيدة أهل السنة».

ثُمَّ رَجَعَ الْوَفْدُ الْمِصْرِيُّونَ رَاضِينَ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ إِذْ بِرَاكِبٍ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ، ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ وَيَسُبُّهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ لَكَ لَأَمْرًا، مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ فَفَتَّشُوهُ، فَإِذَا بِكِتَابٍ عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ ، عَلَيْهِ خَاتَمُهُ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ؛ أَنْ يَصْلُبَهُمْ أَوْ يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: أَلَمْ تَرَ إِلَى عَدُوِّ اللهِ ، أَمَرَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا، وَاللهِ قَدْ أُحِلَّ دَمُهُ قُمْ مَعَنَا إِلَيْهِ.

فَقَالَ: لَا وَاللهِ، لَا أَقُومُ مَعَكُمْ .

قَالُوا: فَلِمَ كَتَبْتَ إِلَيْنَا؟

قَالَ: لَا وَاللهِ ،مَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابًا قَطُّ. قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلِهَذَا تُقَاتِلُونَ أَوْ لِهَذَا تَغْضَبُونَ. وَانْطَلَقَ عَلِيٌّ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى قَرْيَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ لَهُ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ فَقَالُوا: كَتَبْتَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا فَقَالَ: إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: أَنْ تُقِيمُوا عَلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ يَمِينِي: بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، مَا كَتَبْتُ وَلَا أَمْلَيْتُ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ، وَقَدْ يُنْقَشُ الْخَاتَمُ عَلَى الْخَاتَمِ ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ وَاللهِ أَحَلَّ اللهُ دَمَكَ ... الخبر»، ثم حصروه وقتلوه.

فلا تجد الكذب على أهل السُّنة أكثر منه في أهل البدع.

وهذا كذبهم– أصحاب المنهج المعْوَج الذي فيه الطعنُ على الصحابة– على سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

ففي صحيح البخاريْ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ

=

(١) في «المصنف» (٧/ ٥٢٠) وعبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل»(٧٦٥) والبزار في «البحر الزخار» (٣٨٩) وابن حبان (٦٩١٩) وغيرهم.

سَعْدًا إِلَى عُمَرَ ﷺ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ». قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ. (١)

وهذا كذبهم على أبي بكر بن أبي داود:

فاتهموه بالنصب، ورموه بأنه يرمي على بن أبي طالب ﷺ بالتسلق على أمهات المؤمنين! (٢)

وكذبهم على البربهاري وأصحابه من الحنابلة:

حتى ضيقوا عليه قلب السلطان، فاعتقل أصحابه. وأما البربهاري فظل مختفيًا حتى مات في إختفائه، ما صلى عليه إلا رجل وامراة.

---

(١) في صحيح البخاري برقم (٧٥٥).

(٢) وقد ذكرت ذلك في ترجمته في مقدمة تحقيقي لكتابه «المصاحف».

وهل كان البربهاري يضاد الأمراء حتى تتغيَّر أنفسُهم عليه؟ [١]

وقد كان الأمراء يومها يحترمون الحنابلة.

وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، كذبوا عليه وألبوا قلب السلطان عليه، حتى مات في حبسه كما هو مشهور.[٢]

ثم إذا خافوا السلطان يكذبون ويتظاهرون بالموافقة، مع أن ضجيجهم بكلامهم المخالف ملأ الدنيا، فما أثخن جلدة وجوههم.

وأين بيان ما أخطئوا فيه؟ وأين اعتذارهم لمن رموهم بالفواقر لأجل قولهم بما قالوه اليوم وردَّدوه؟

وأين الإنصاف بالحق، أين البيان؟

أين إنصاف غلام الراهب، وصاحب ابن عباس، وغيرهما، أينال المعالي بكتمان الحق بعد أن حصحص؟![٣]

ولا عجب فالإنصاف عزيز.

فهؤلاء أصحاب بدعة الدعاء الجَمَاعي المُداوم عليه، ولم يكن يُداوَم عليه في زمن رسول الله ﷺ.

أخرج ابن أبي شيبة[٤] بسند حسن عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَتَبَ عَامِلٌ

---

(١) وقد ذكرت ذلك في ترجمته في مقدمتي لشرح كتابه «شرح السُّنَّة».

(٢) فراجع ترجمته.

(٣) فبعضهم يُسأل عن الحاكم، فيلون ويلوح بتكفيره ويطعن عليه في المجامع ويظهر الموافقة للطاعنين له، فإذا خاف ينادي بأعلى صوت: «لا يجوز الخروج على السلطان»، وكأنه ما كان يُكفّره ولا ينقل تكفيره، ولا يوالي ويمدح مَن يكفره...ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ أهذا دين؟ لو كان على الحق ما تلوَّن.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠) وابن وضاح في «البدع» (٣٦).

لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ أَنَّ هَاهُنَا قَوْمًا يَجْتَمِعُونَ فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْأَمِيرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: «أَقْبِلْ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ مَعَكَ»، فَأَقْبَلَ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ: «أَعِدَّ لِي سَوْطًا»، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ أَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِهِمْ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّا لَسْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْنِي أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ.

أرأيت كيف يكذبون؟ (١)

وهذا آخَرُ يكذب ويتملص مِن بدعته بعد ما ملأ الدنيا ضجيجًا وعجيجًا بها.

أخرج الفريابي في «القَدَر» والآجري في «الشريعة»(٢) بسند صحيح عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ طَاوُسٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَمَرَّ بِمَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ(٣)، فَقَالَ قَائِلٌ لِطَاوُسٍ: هَذَا مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ. فَعَدَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللهِ، الْقَائِلُ مَا لَا يَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ ... الأثر».

أرأيت كيف يكذب أهل البدع إذا ضاقت عليهم السبل، مع أن بدعته طافت الدنيا وقوله بها انتشر في الآفاق.

---

(١) إن الله يقهر بالسلطان ما لا يقهر بالقرآن.
تنقطع ألسنة الدعاة إلى الله بالأدلة والبراهين والنهي عن المخالفة، فإذا ما رأى سوط السلطان... أيحشر هذا في صفوف الدعاة إلى الله، لا حول ولا قوة الا بالله.

(٢) «القدر للفريابي» (٢٦٢) و«الشريعة» للآجري (٨٧٢).

(٣) وفي رواية الفريابي(٢٦٤): «فذكر أن معبد الجهني تكلم في القدر، وكان أول من تكلم في القدر».

إنني لا أتعجب من كذب أهل البدع: وقد قال رسول الله ﷺ: «**وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**».(١)

فظهور الكذب لا يُستغرب منهم.

وإنما المستغرب حقـًا: الكذب ممن ينسبون أنفسهم للسلف، ولأهل السُّنَّة أو أهل العلم والدعوة!!

وإلى الله المشتكى وإليه المآب، وله الأمر من قبل ومن بعد. لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

كذبوا على عليٍّ رضي الله عنه قبحهم الله أنه قتل عثمان حتى بويعَ.

فأخرج ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: «مَا عَلِمْتُ أَنَّ عَلِيًّا اتُّهِمَ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ حَتَّى بُويِعَ، فَلَمَّا بُويِعَ اتَّهَمَهُ النَّاسُ».(٢)

وقبَّحهم الله فقد وصل الأمر إلى تصديق الكذب، وتكذيب الصدق.

أخرج ابن شبة (٣) بسندٍ صحيح عنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِبِيِّ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «لَوْ أَعْلَمُ بَنِي أُمَيَّةَ يَقْبَلُونَ مِنِّي لَنَفَلْتُهُمْ خَمْسِينَ يَمِينًا قَسَامَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَلَا مَالَأْتُ عَلَى قَتْلِهِ». الله أكبر!

ومن كذبهم على غيرهم وغباوتهم:

دعواهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان وَصَّي رسول الله ﷺ.(١)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٠٧، ٧/ ٥٢٥).

(٣) في «تاريخ المدينة المنورة» (٤/ ١٢٦٩).

❁ وكيف يكتبُ رسول الله ﷺ، وقد حاول أن يكتب فَحِيلَ بينه وبين ذلك على فراش الموت، كما روي ذلك ابن عباس وغيره.(٢)

❁ **وفي الصحيحين** عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: «ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ وَصِيًّا، فَقَالَتْ: « مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟ فَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي – أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي – فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدِ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟»(٣)، تستنكر أن يكون النبي ﷺ أوصى لعلي.

❁ **وفي الصحيحين** عن طَلْحَةِ بْن مُصَرِّفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟ فَقَالَ: «لاَ»، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِالوَصِيَّةِ؟ قَالَ: «أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ».(٤)

❁ **قَالَ هُزَيْلُ بْنُ شُرَحْبِيلَ**: «أَبُو بَكْرٍ كَانَ يَتَأَمَّرُ عَلَى وَصِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ وَدَّ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ وَجَدَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدًا فَخَزَمَ أَنْفَهُ بِخِزَامَةٍ ذَلِكَ».(٥)

=

(١) وما زال الروافض يلوكون ذلك إلى اليوم، وقد كذَّبَهُم علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة، كما سيأتي.

ومات قولهم وبقي تكذيبهم على ألسنة مَنْ كذبوا عليهم يُقرأ على مدارالتاريخ، حفظه الله لهم سُبَّة في وجوههم ليكون آية وعلامة للكذابيين، والسعيد من وُعِظَ بغيره، والله المستعان، ومات قولهم لأن الكذَّاب لا يطل برأسه، إنما يكذب ويختفي، فلا يُرى إلاَّ قَوْلُهُ.

(٢) كما في صحيح البخاري (٧٣٦٦) ومسلم ، قول ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ ... ».

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٩) ومسلم (١٦٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٤٠) ومسلم (١٦٣٤ مختصراً).

(٥) أخرج هذه اللفظة الدارمي (٣٤٧٩) مختصراً بسندٍ صحيحٍ.

والمعنى: لَوْ كَانَ عَلِيٌّ مَعْهُودًا إِلَيْهِ بالخِلافة لَكَانَ فِي أَبِي بَكْرٍ مِنَ الطَّاعَةِ والانقِياد إِلَيْهِ مَا يَكُونُ فِي الجَمَل الذَّليل الْمُنْقَادِ بِخِزَامَتِه.[١]

أي: لكان في أبي بكر وازعٌ يزعُه من دينه، وتقدُّمه في الإسلام وطاعة أمر الله ورسوله أن يغتصبه حقه.

وأبو بكر لو كانت ثَمَّ وصية يكون أول المنقادين لعهد رسول الله ﷺ ووصيته ، ويكون في ذلك كالجمل الذليل.

❁ **وفي الصحيحين** عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ - قَالَ: وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ - فَقَدْ كَذَبَ، فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ...».[٢]

فهذه الأدلة - لا سيما الأخير الوارد عن علي رضي الله عنه - يردُّ على فرقة الروافض في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إلى عليٍّ بالخلافة.

ولو كان كذلك ما ردَّ ذلك أحدٌ من الصحابة، لكونهم كانوا أطوعَ لرسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته من أن يفتاتوا عليه، فيقدِّموا غير مَنْ قدَّمه، ويؤخروا مَنْ قدمه بالنص، حاشا وكلاَّ، ومَنْ ظنَّ بالصحابة ذلك فقد نسبهم جميعهم إلى الجَوْرِ والفجور والتواطئ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم في حكمه ونصه، وما دون هذا الظنِّ رِدَّةٌ، فكيف به؟

ولو كان كذلك ما وقع النزاع في سقيفة بني ساعدة مَنْ يكون الأمير؟[٣]

---

(١) كذا قال ابن الجزري في «النهاية» (٥/ ١٥٠) والقاسم بن سلام في «غريب الحديث» (٣/ ٢١٣) والزمخشري في«الفائق» (٤/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠).

(٣) كما في الصحيحين، وذكرته في كتابي «صحيح السيرة النبوية».

ولو كان كذلك وعليٌّ يعلم ولم يقدر أن ينفذ وصية رسول الله ﷺ لكان عاجزاً، والعاجز لا يصلح للإمارة، ولو كان يقدر ولم يفعل هذا فهو خائن، والخائن معزول عن الإمارة؛ وإن لم يكن يعلم بوجود هذا النص فهو جاهل، وكيف لا يعرفه وعرفه الروافض الذين أتوا بعده، هذا محال، بل افتراء وضلال وتزيين من الشيطان بلا دليل ولا برهان، أو هذيان وإفك وبهتان، بل وتخبط وخذلان.

وقد كان الكذب قد فشا في القرون المفضَّلة من أهل البدع، كذبوا على الصحابة ﷺ ليُرَوِّجوا أباطيلهم وبدعهم وما يهوون –قبَّحهم الله –

أخرج مسلم[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ، وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا إِذْ رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ، فَهَيْهَاتَ».

أي سلك الناس ما يحمد وما يذم، وهذا مما يحمل الناس على الكذب لنصرة آرائهم ومذهبهم ومذهب من يُحبونهم.

وفي رواية[٢] قال:« إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ».

وأخرج أيضًا[٣] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابًا، وَيُخْفِي عَنِّي، فَقَالَ: «وَلَدٌ نَاصِحٌ أَنَا أَخْتَارُ لَهُ الْأُمُورَ اخْتِيَارًا، وَأُخْفِي

---

(١) في «مقدمة صحيحه»(١/ ٧٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أي في«مقدمة صحيحه».

عَنْهُ»، قَالَ: فَدَعَا بِقَضَاءِ عَلِيٍّ، فَجَعَلَ يَكْتُبُ مِنْهُ أَشْيَاءَ، وَيَمُرُّ بِهِ الشَّيْءُ، فَيَقُولُ: «وَاللهِ مَا قَضَى بِهَذَا عَلِيٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَلَّ».

وهذا يرشدك- بارك الله فيك- إلى كذب أهل البدع علَى علِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي الرواية الأخرى[١] عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: « لَمَّا أَحْدَثُوا تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ: قَاتَلَهُمُ اللهُ، أَيَّ عِلْمٍ أَفْسَدُوا ».

ويشير إلى ما أدخلته الروافض والشيعة في علم عليٍّ رضي الله عنه وحديثه، فقد تقوَّلوا عليه الأباطيل، من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة، وأضافوها إليه، وخلطوا ذلك بالحق فلم يتميَّز ما هو صحيح مما اختلقوه، والله المستعان.

وهذا يرشدك إلى فشو الكذب في هذا الوقت من قِبَل أهل البدع والأهواء على أهل الحق.

فهل يستغرب ممن هذا حال أسلافهم إذا كذبوا على أهل السنة في آخر الزمان؟

ومِنْ كذبِ الصوفية على الصحابة رضي الله عنهم:

تَقَوُّلُهم أن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي بأشياء كثيرة مطولة، يا علي افعل كذا، يا علي افعل كذا، يا علي مَنْ فعل كذا كان كذا وكذا.

قال ابن كثير:

«كَذَا بِأَلْفَاظٍ رَكِيكَةٍ، وَمَعَانِيَ أَكْثَرُهَا سَخِيفَةٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهَا ضَعِيفَةٌ لَا تُسَاوِي تَسْوِيدَ الصَّحِيفَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ».[٢]

---

(١) في«مقدمة صحيح مسلم» بسندٍ صحيح.

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٥/ ٣٦٠).

واعلم – علمني الله وإياك –

إن الذي يسكت في الفتن، ثم لما تنجلي يقوم يحذِّر، هذا مُلبِّس على الناس أنه مع العلماء، ولا حاجة للناس فيه، كذا يفعل أهل البدع اليوم – جُبْنًا حتى لا يتهم – كذا إذا كانت الدولة لأهل السُّنَّة كما حصل منهم قديمًا، إلا أن يكون قبل ذلك جاهلاً، فيعترف لمن أنكر عليه يومها بالفضل إنصافًا.

فانظر إلى ما أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»[١] بسند صحيح عن زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه وهو ينهى عن الفتن والخوض فيها، وقد قال له رجل :

« جزاكم الله أصحاب محمد شرًّا، فوالله لقد لبَّستم علينا حتى ما ندري أنقعد أم نقوم، فهلا نهيت الناس يوم الجرعة.[٢]

قال حذيفة: قد نهيت عنها نفسي وابن الخضرامة، ولو لم أنهه لكان من القائمين فيها والقائلين».

وحاشا حذيفة رضي الله عنه – بل مَن هو دون حذيفة – أن يكون من الساكتين عن تبيين الفتن في مبدئها، كما اتهمه هذا المفتون على طريقة الطعن في العلماء وسوء الأدب معهم.

فقد أخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ حسن عَنْ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ، قَالَ: لَمَّا تَحَسَّرَ النَّاسُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ كَتَبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا أَنْ لَا يَسْتَعْمِلَ عَلَيْهِمْ إِلَّا رَجُلًا يَرْضَوْنَهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ[١]، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ قَدِمَ حُذَيْفَةُ مِنَ الْمَدَائِنِ فَأَتَوْهُ بِكِتَابِهِمْ

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٧٩).

(٢) يوم طردهم أمير عثمان على الكوفة أن يدخلها، وللقصة أصل في مسلم (٢٨٩٣).

(٣) في «المصنف» (٧/ ٤٧٥).

فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، صَنَعْنَا بِهَذَا الرَّجُلِ[٢] مَا قَدْ بَلَغَكَ، ثُمَّ كَتَبْنَا هَذَا الْكِتَابَ وَأَحْبَبْنَا أَنْ لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ[٣].

فَنَظَرَ فِي كِتَابِهِمْ وَضَحِكَ وَقَالَ: «وَاللهِ مَا أَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرَدْتُمْ؟ أَرَدْتُمْ أَنْ تَتَوَلَّوْا سُلْطَانَ قَوْمٍ لَيْسَ لَكُمْ[٤]؟

أَرَدْتُمْ أَنْ تَرُدُّوا هَذِهِ الْفِتْنَةَ حَيْثُ أَطْلَقَتْ خِطَامَهَا وَاسْتَوَتْ، إِنَّهَا لَمُرْسَلَةٌ مِنَ اللهِ فِي الْأَرْضِ تَرْتَعِي حَتَّى تَطَأَ عَلَى خِطَامِهَا، لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَهَا رَدًّا وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُقَاتِلُ فِيهَا إِلَّا قُتِلَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ قَزَعًا كَقَزَعِ الْخَرِيفِ يَكُونُ بِهِمْ بَيْنَهُمْ».

والمعنى: يَمُنُّ الله تعالى على الأمة بمن يجمع شملها المُبعثَر فتأتلف القلوب.

ومعنى (قزع الخريف): أي قطع السحاب المتفرِّقة.

وإنما خص الخريف لأنه أول الشتاء، والسحاب يكون في السماء متفرِّقـًا غير متراكم ولا مطبق، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك.[٥]

=

(١) مع أن سعيد بن العاص من الصلاح بمكان، له ترجمة حافلة، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنوات، وكان إماماً صالحـًا فاضلاً ويكفيه أن عثمان ط هو من أمَّره عليهم.
ولكن كأن الإمارة عندهم لُعبة ؟!

(٢) يعنون سعيد بن العاص.

(٣) وكأنهم لو رفض حذيفة ما كتبوه ، رجعوا عما قرَّروه !

(٤) **أي** : فما حاجتكم للأمير إذا كان الرأي رأيكم، أنتم أمراء أنفسكم تقرون من تريدون، وتأمرون من تريدون وتخلعون من تريدون .
أهذه تكون إمارة أم لعب؟ أين احترام الأمير ومن أمَّره إذاً وهو خليفة راشد باعترافكم؟!

(٥) النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير (٤/ ٥٩) وغريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٨٥) وغيرهما.

فها هو ﷺ قد نبههم وحذرهم ونصحهم، فهل ارعووا أم أنهم ما سكتوا حتى وقعت الفتنة مِن جرَّاء في طَعْنهم، قتل عثمان ﷺ الخليفة الراشد، فافترق الناس، وصارت السُّنَّة السيئة، وإلى الآن يُجنى ثمار فسادهم.والله المستعان.

ووالله إنها لَتَسْلية للداعي السُّني يُردُّ كلامه الحق المُنبعث من نور الوحي بالهوى، فله أسوة في حذيفة بن اليمان ﷺ.

والمبتدعة حين يواجهون أهل السُّنة ويتقهقرون عن آرائهم،
أقوال وافتراء يتملص المبتدع منها ويكذب ويتلون كما تتلون الحرباء،
ويخرج مما قال أو يحسِّنه أو يغيره كما تتلوي الحية، فإذا تمكن لدغ[1]

أخرج الفريابي في «القدر»[2]عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ مولى حكيم بن حزام:«أَنَّهُ كَانَ مَعَ طاووس يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَمَرَّ بِمَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ، فَقَالَ قَائِلٌ لطاووس: هَذَا مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَعَدَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللهِ، الْقَائِلُ مَا لَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: إِنَّهُ يُكْذِبُ عَلَيَّ».

(١) كما قال البربهاري عنهم: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأبدانهم فِي التراب، ويخرجون أذنابهم، فَإِذَا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فَإِذَا تمكنوا بلغوا ما يريدون» حكاه عنه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة»(٢/ ٤٤)، وليس هو في «شرح السُّنة» له.

(٢) برقم (٢٦٢) وأخرجه أيضاً ممن نفس الطريق الآجري في «الشريعة» (٤٥٢).

كذا يتملص من القول بالقدر، وهو إمام القائلين به[1]، وبئس الإمام الكذاب، إمام مجوس هذه الأمة.

اضمم ذلك إلى ما قاله السجزي عنهم:

«**كأن البهتان والكذب لا قبح لهما في العقل، وإنما علم قبحهما بالسمع**» – أي أنهم لا يأخذون بأدلة السمع ويركبون آراءهم –.

كذا كما في زماننا يتصَّرف التصرف، فحينما يواجهه بفضيحته يتملَّص بدلاً من أن يُقرَّ ويعترف بخطئه وضلاله، ليحذر الناس، يكذب، ما فعلت كذا، ما قلت كذا ... .

وهو مُسطَّر عليه بالصوت والصورة !!

إنما أردتُ كذا،وفي المقطع ما يثبت كذبه. هذه من أفعالهم الخسيسة الخبيثة في زماننا، وإلى الله المشتكى.

فإذا قِيلَ له اطعن فيمن يقول بما تتملص منه، فإذا به يمتنع.

وهل يخلِّف الكذاب إلا مثله؟!.

وبعد :

فإذا كان أهل البدع والأهواء لا يتورَّعون عن الكذب قديمـًا، كما رأيت الخوارج:

- كذبوا على عثمان ﷺ؛ فزوروا كتبـًا عليه أنه أمر عُمَّاله بأشياء، وهو منها برئ.

---

(١) كذا يقول: «يُكذب عليّ»، يدعي أنَّه لا يقول بذلك وقد تبرأ من مقولته في القدر.

❁ وكذبوا على عائشة رضي الله عنها؛ فزوروا عليها كتبًا أنها تأمرهم بالخروج على عثمان، وهي منه بريئة.

❁ وكذبوا على عليٍّ رضي الله عنه أنه شارك في شيء من هذا مع قتلة عثمان، أو أنه نصح به، وزوروا كتبًا عليه بذلك، وهو منها برئ.

وأنا لا أستغرب من كذبهم على قوم قتلوا منهم ومن أبنائهم مَن قتلوا، وهذا دون الكذب عليهم.

ورأيت أصحاب الغلو من الروافض أصحاب الأهواء والبدع الأغبياء:

كذبوا على عليٍّ أنه كان وصي رسول الله ﷺ ليطعنوا بذلك على الصحابة رضي الله عنهم جملة بما فيهم علي، ولاَ أَثَارَة مِنْ عِلْمٍ بهذا بسندٍ، و وهومنها برئ.

وكذبوا على عليٍّ نفسه، كما كذبوا عليه في دم عثمان .

ورأيت المبتدع الضَّال معبد الجهني، الذي جمع بين بدعة الخوارج والقدرية:

كذب على طاووس لمَّا واجهه بأنه يفتري على الله الكذب في القدر، يقول له هذا الضَّال: «إنه يُكْذَبُ عَلَيَّ».

وهو أصل هذه البدعة مع أنك لا تجد له حرفًا في إثبات القدر! [1]

❁ وكذب الصوفية على الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، وهذا مشهور يؤيدون به غُلُوَّهم في البعض، أو طعنَهم في غيرهم.

---

(١) ففي صحيح مسلم (٨) قول عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ.

❁ وكذب كثير من الوضاعين: يضعون أحاديث على رسول الله ﷺ توافق أهواءهم، وفيها طعن على هذا وغُلُو في ذاك، تجدها في كتب مصطلح الحديث في ذكر البواعث للوضاعيين على وضع الحديث، وأشار إلى أكاذيبهم شيخ الإسلام في «مقدمة أصول التفسير» ، ومن استقصى ما كذبوا به على أبي هريرة، وعمرو ابن العاص، وأبي موسى الأشعري، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم مما لا يُحصى عدّاً، عَلِمَ عِلْم اليقين أنه لا أكذب في هذه الأمة من أصحاب الأهواء والبدع.

يدلسون ويلبِّسون على العوام– وَقُودِ الفتنِ وأوديةِ مرحهم– بالكذب كما أشار قَبْلُ الإمام السجزي المتوفى سنة ٤٤٤هـ قبل.

إذا عُلم هذا :

فلا يُستغرب من كذبهم في زماننا وتقولهم وتلبيسهم وتدليسهم ... من أنَّ هناك جماعة جديدة اسمها المداخلة ... سبَّابة ... يبدِّعون كل أحد إلا هُمْ ... أتباع الشيخ المدخلي ... يبدِّعون بالأخطاء ... رئيسهم فلان يصدرون عن رأيه ... ويتهمون الشيخ الفاضل ربيع المدخلي بهذا .

❁ وكذبهم أنَّ هناك جماعة جديدة اسمها الجامية أتباع الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ ...، وكانوا قديماً هم والمداخلة أتباع ربيع المدخلي يعملون جنباً إلى جنب ... ثم حصل ... الخ.

❁كما كذب أئمتهم قَبْلُ في أن هناك جماعة اسمها الوهابية من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... وأنهم كذا وكذا .

❁ وكذا يكذبون على الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ضعَّف حديث أم سلمة، الذي فيه النهي عن التحزب.

❁ كذبوا على الشيخ ربيع والشيخ بكر أبو زيد في طَعْنِ أو تبديعِ أي منهما على الآخر .

❁ وكذبوا على الشيخ ربيع المدخلي أنه يبدِّع كل أحد إلا مَن كان تابعـًا له، أو أنه يبدع بكل الأخطاء.

❁ كذبوا على الشيخ الفوزان حفظه الله أنه يُكذِّبَ ربيع المدخلي، وعلى الشيخ محمد بن سعيد رسلان أنه يكفّر الإخوان، أو أن هناك من تلامذته مَنْ يدعي فيه العصمة، أو أنه وفلان يعملان مع أمن الدولة... أو أن فلانـًا تابعٌ للمداخلة ...

ولا يوصف قلة الورع والتقوى- بل قلة الدِّينِ - بأمثلة أحسن من هذه، قبَّح الله الهوى وأراح النَّاس من شرِّهم.

❁ فلا يُستغرب من نشرهذا في زمان قلَّ فيه العلم والورع، وإذا كَثُر العوام الطغام، وانتشرت البلاهة والسذاجة في الأمة، فهذا أوان ينتشر فيه مثل ذلك ، ويروج ويُلاك بالألسنة كأنه في صحيح البخاري بأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ، أو الزهري عن سالم عن أبيه عن رسول الله ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هيَّأَ الله لهذه الأمة أمر رُشد يُعز فيه أهل الطاعة ويجعلنا منهم، ويُذلُّ فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المُنكر.

أصلح الله حال المسلمين جميعـًا، والله المُستعان.

وكذا يفعلون في كل زمان :

إذا كانت الدولة لأهل السُّنة، وألسنتهم جامدة وحججهم ظاهرة، وأتباعهم كثير ومواقفهم قوية ...، لم تسمع لأهل البدع حسًّـا ولا تجد إلا همسـًا في السِّر، وذلك في الدهاليز والكهوف.

ولا يظهرون إلا الطيبة والمسالمة والسعي – ظاهراً – لتقريب وجهات النظر .... والشديد العتيد منهم مكتوم على نفسه ،خامل لا يُظهر إلا سلاماً لأهل السُّنة.

وأما إذا كانت الدولة لأهل البدع، وأعدادهم – أو أعداد المُغَرَّر بهم – كثيرة معهم، رأيت العجب العجاب في تصرفاتهم من سوء الأدب وسلاطة اللسان بالسلب، مِنْ قدحٍ، وسبٍّ، وتحذيرٍ، وتخذيلٍ، وتأليبٍ، وتقبيحٍ، بل وضربٍ، وإهانةٍ، وتشهيرٍ، وتخويفٍ للعوام – الذين هم فرائسهم[1]– والله المُستعان.

ومن أساليب أهل البدع الرخيصة مع أهل العلم لأخذ الصغار من جحورهم:

---

(١)حتى يحاربوهم في أرزاقهم، ويؤلِّبون على صغارهم الأولياء، ويغرون بهم العوام والأمراء – ما استطاعوا – وما فِعْلُهُمْ بأحمد بن حنبل وإخوانِه من أهل السنة كأحمد بن نصر منك ببعيد.

قد يفعلون بهم ما قَدَرُوا عليه من ذلك – إذا ما قدَرُوا عليهم – كما فعلوا مع البربهاري وأصحابه – وكانت الدولة لأهل السُّنة يومها- .

أغروا بالبربرهاري وأصحابه السلطانَ وغلَّظوا قلبه عليهم، لشدتهم على أهل البدع، فقُبض على جماعة من كبار أصحابه، وحُمِلوا إلى البصرة وأعْلن أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان، وتقدموا بالقبض على البربهاري نفسه، فاستتر في بيت أخت توزون أحد قواد الأتراك، استتر حتى توفي في الاستتار، فما صلى عليه إلا رجل وامرأة، ودُفِنَ في المكان الذي كان مختبئاً فيه.

فهل كان البربهاري وابن تيمية وأحمد بن حنبل وغيرهم في مصلحة نظام الدولة، ويحترمون الأمراء وأوامرهم، أم ينازعون الأمراء ويخرجون عليهم؟

ولكنهم كالعقارب الذين متى تمكَّنوا لدغوا. وقد يستغلون مكانتهم عند السلطان فيقصُون أهل السُّنة من حاشيته؛ ليتم لهم ما أرادوا. كفى الله أهل السُّنة شَرَّهم، ووقاهم حيلهم وألآعيبهم الخبيثة الخسيسة .

نشرهم استنكار واستهجان إدخال الصغار والعوام في معترك الكلام على تبيين ضلالهم أو ضلال شيوخهم– الذين يتعصبون لهم– إذا رأوهم يقولون: فلان مبتدع، فلان على ضلالة، احذروا فلاناً من أهل البدع، ضلالاته كذا، بدعه كيت وكيت ، ويروجون كلام أهل السنة فيهم..إلخ.

متى رأو ذلك من الشباب صغير السن استهجنوه منهم، فيقولون:

اشغلوا الصغار بحفظ المتون.

اشغلوهم بحفظ القرآن، ابعدوا الشواغل عنهم حتى يكبر ويترعرع.

اشغلوا الصغار بحفظ السنة النبوية، اللؤلؤ والمرجان، الصحيحين

اشغلوهم بحفظ كتاب التوحيد ، الولد لم يتأهَّل لمثل هذا.

الصغير لا يفهم الكلام في البدع والمبتدعين....وهكذا.

فإذا ما تخرَّج الولد يحفظ في التجويد:

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْغَفُورِ ... دَوْمًا سُلَيْمَانُ هُوَ الجَمْزُورِي

الْحَمْدُ للهِ مُصَلِّيًا عَلَى ... مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ تَلاَ

وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ لِلْمُرِيدِ ... فِي النُّونِ والتَّنْوِينِ وَالْمُدُودِ...إلخ

وفي مصطلح الحديث:

عِلمُ الحديثِ: ذُو قوانِينْ تُحَدْ ... يُدْرَى بِها أَحْوَالْ مَتْنٍ وَسَنَدْ

فَذَانِكَ الموضوعُ، والمقصودُ ... أَنْ يُعرَفَ المقبُولُ والمَردُودُ.

والسندُ: الْإِخْبارُ عنْ طَرِيقِ ... مَتْنٍ كَالْاِسْنادِ لَدَى فَرِيقِ.. إلخ.

وفي المعتقد:

أَبْدَأُ بِاسْمِ اللهِ مُسْتَعِينَا ... راض به مدبراً مُعِينَا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا ... إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَاجْتَبَانَا

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهْ ... وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهْ..إلخ.

وكذلك:

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ إن الله واحد لا شريك له، ولا شي مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره...إلخ.

وفي أصول الفقه:

فَالْأَصْل مَا بني عَلَيْهِ غَيره وَالْفرع مَا يبْنى على غَيره

وَالْفِقْه معرفَة الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الَّتِي طريقها الِاجْتِهَاد

وَالْأَحْكَام سَبْعَة الْوَاجِب وَالْمَنْدُوب والمباح والمحظور وَالْمَكْرُوه وَالصَّحِيح وَالْبَاطِل

فَالْوَاجِب مَا يُثَاب على فعله ويعاقب على تَركه

وَالْمَنْدُوب مَا يُثَاب على فعله وَلَا يُعَاقب على تَركه

والمباح مَا لَا يُثَاب على فعله وَلَا يُعَاقب على تَركه

والمحظور مَا يُثَاب على تَركه ويعاقب على فعله

وَالْمَكْرُوه مَا يُثَاب على تَركه وَلَا يُعَاقب على فعله

وَالصَّحِيح مَا يتَعَلَّق بِهِ النّفُوذ ويعتد بِهِ

وَالْبَاطِل مَا لَا يتَعَلَّق بِهِ النّفُوذ وَلَا يعْتد بِهِ..إلخ.

وفي السيرة النبوية:

الحمدُ للهِ القَديرِ الباري ... ثُمَّ صَلاتُه على المختارِ

وبعد هاكَ سيرةُ الرسول ... مَنظومةٌ موجزةُ الفصولِ

مولدُه في عاشرِ الفَضيلِ ... ربيعٍ الأولِ عام الفيل

لكنَّما المشهورُ ثاني عَشْره ... في يوم الاثنين طُلُوعَ فَجره

ووافقَ العِشرين من نَيسَان ... وقَبلَه حَينُ أبيه حَانَ

وبعدَ عَامين غَدا فَطيمَا .... جَاءت به مُرضِعُه سَليماً

حليمةُ لأُمِّه وعَادت .... به لأهلِها كَما أرَادت

فبعد شهرين انشقاقُ بطنه ... وقيل بعد أربعٍ من سِنِّه..إلخ.

وفي النحو:

الكلامُ : هو اللفظُ المُرَكَّبُ المُفيدُ بالوَضْع

وأقسامُه ثلاثة: اِسمٌ، وفعلٌ، وحَرفٌ جاءَ لمَعنى.

فالاسم يُعرَفُ: بالخَفضِ، والتنوينِ، ودخولِ الألف واللام

وحروفِ الخَفضِ و هي: مِن، واِلى، وعَن، وعلى، وفِي، ورُبَّ، والباءُ، والكافُ، واللامُ،

وحروفِ القَسَم وهي: الواو، والباء، والتاء.

والفعلُ: يُعرَفُ بقد، والسِّين، وسَوف، وتاء التأنيث الساكنة.

والحرفُ: ما لا يَصلُحُ معه دليلُ الاسم ولا دليل الفعل...إلخ .

فيخرج الولد الصغير حافظاً القرآن حفظاً جيداً، والمتون يجيد حفظها وربما معلومات في أبواب العلوم الشرعية المختلفة، مثقفاً .[1]

---

(١) وربما وجدته مغترّاً بنفسه معجباً مسكيناً، غرّاً يقع في شراك الشيطان.

وربما كان يفهم في التجويد، وإجمالي التوحيد، والسيرة، وأصول الفقه، والنحو...مسكين لا يعرف البدع ولا أهلها، ولا أساليبهم، ولا فراسة له في معرفة الحق من الباطل، والسنة من البدعة، وأهل السنة من أهل البدعة، لا يدري من يُسمع له ، ومن لا يُسمع له، بل لا يعرف الحق من الباطل أصلاً.

فكيف يُمَيِّز بين أهل الحق وأهل الضلال؟

فمثل هذا يرفعه أهل البدع من الحزبيين وغيرهم، ويصيِّرونه قارئًا إماماً للناس في الصلاة لا سيما إذا كان حسن الصوت، أو يصيِّرونه شيخًا إذا تميَّز بحسن إلقاء أو فصاحة في المخاطبة، فيوظِّفونه براتب، أو يُلقون عليه المدائح، ويجمعون له الأغرار الذين صادوهم من أماكن شتى، فمتى يجلس المسكين ليتعلَّم منهج أهل السنة والجماعة، أو يتعرَّف على البدع وأهلها، والسنة وأهلها، لا يدري أصلاً من يسمع له ومن لا يسمع له ..

وهو هكذا في أحضانهم، وقد ألقوا عليه شباكهم، ففتنوه بزخارفهم، وجلبوا عليه وعلى أمثاله بخيولهم ورجلهم؟

فمَن هذا حاله تُكَبِّر عليه أربعًا، فإنه سيصبح عدواً لك، وإن كان تحت يديك يتعلَّم يومًا كما قال القائل:

فواعجبًا مِمَّن ربَّيتُ طفلاً ... فأُلقمُه بأطراف البنان

أعلِّمه الرماية كلَّ يوم ... فلمَّا اشتدَّ ساعدُه رماني

وكم علَّمته نظمَ القوافِي ... فلمَّا قال قافيةً هجانِي..إلخ.

يقولون له: النقد البناء لا النقض الهدَّام، الرد لا بأس به ، ولكن لا تُسم أحداً، عليك بالتعميم في الرد على المخالفين كما كان الرسول ﷺ يفعل فيقول:« **مَا بَالُ**

أَقْوَامٍ ...» لا تُسم الأشخاص.[١] للمردود عليهم محاسن[٢]، فاذكر محاسنهم ومساوئهم عند الرد عليهم[٣].

فأين المنهج السلفي المدَّعى؟

إن تسمية البدعة وأهلها دين حتى يحذرها الناس، وإلا فكيف يحذرها الناس ويحذرون أهلها؟.

فوالله لولا ذكر أسماء الكفار وباطلهم للصغار في زمن الصحابة ﭫ ما رأيت الغلامين ابني عفراء حَدِيثَةٍ أَسْنَانهُم يقول أحدهما لعبد الرحمن بن عوف ﭬ:«.. يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْل؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ..»[٤]

---

(١) ولم يدر الغِرّ أن الذي كان يرد على البعض فيقول:« **مَا بَالُ أَقْوَامٍ** »..هو الذي ردَّ على أقوام بأعيانهم وذكر أسماءهم، ولم يعمم فقال عن عين رجل:« **بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ** » وقال:« **بِئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ** » و:« **إِنَّ آلَ أَبِي فلان لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ** » وقال لآخر:« **إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ، وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ** » وهذا كثير في الصحاح.

وأما أصحابه فردُّوا كثيراً على أقوام كانوا أفضل من شيوخ اليوم ولم يعمِّموا، وتبعهم علماء الجرح والتعديل، ولكن للمسألة فقه غيَّبه عن هؤلاء التعصُّب الذي يعمي ويصم، أصلحهم الله للمنهج السلفي الخالص غير المشوب .

(٢) وقد كان لكل من ردُّوا عليهم محاسن لم يذكروها، أقوعد بدعية مخترعة في المنهج لصيانة مَن يُتعصَّب لهم، وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، والله المستعان .

(٣) وهذا في حقيقته إفساد للردود العلمية.

(٤) أخرجه البخاري(٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢).

وأخرج مسلم في «مقدمة صحيحه»[١] بسندٍ صحيح عَاصِم بن بهدلة قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ[٢] وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا: «لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا»، قَالَ: «وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ».

ولقد شُفي يزيد الفقير لما التقى بالعالم السني جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} [آل عمران: ١٩٢] وَ {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ»، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ[٣]

---

(١) (١/ ٢٠).

(٢) وكان إماماً يجلس يقرئ الناس في زمن عثمان رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (١٩١).

وسعيد بن جمهان الذي تأثَّر برأي الخوارج ،شفاه الصحابي بعد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه

أخرج أحمد [١] بسندٍ قوى عن سَعِيد بْن جُمْهَانَ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُوَ مَحْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلَتْهُ الْأَزَارِقَةُ، قَالَ: لَعَنَ اللهُ الْأَزَارِقَةَ، لَعَنَ اللهُ الْأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ**» ، قَالَ: قُلْتُ: الْأَزَارِقَةُ وَحْدَهُمْ أَمِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: «بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا» . قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدِي فَغَمَزَهَا بِيَدِهِ غَمْزَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ يَا ابْنَ جُمْهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلَّا فَدَعْهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ».

ولقد شفى الله تعالى أبا شمر ذا خولان الذي اعتقد رأي الخوارج وكان يعينهم بالمال، فاهتدى على يد وهب بن منبه العالم السني.

وذلك وببركة رحلته إليه تاب ومات على السنة من رأي الخوارج بعد نحو خمسة عشر يومـًا.

فقال له وهب مما قال:«.. وَلَو أمكن الله الْخَوَارِج من رَأْيهمْ لفسدت الأَرْض وَقطعت السبل وَقطع الْحَج عَن بَيت الله الْحَرَام وَإِذن لعاد أمْر الاسلام جَاهِلِيَّة حَتَّى يعود النَّاس يستعينون برؤوس الْجبَال كَمَا كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّة، وَإِذن لقام أكثر من عشرَة أَوْ عشْرين رجلاً لَيْسَ مِنْهُم رجل إلا وَهُوَ يَدْعُو الى نَفسه بالخلافة وَمَعَ كل رجل مِنْهُم أَكثر من عشرَة آلَاف يُقَاتل بَعضهم بَعْضًا وَيشْهد بَعضهم على بعض بالْكفْر حَتَّى يصبح الرجل الْمُؤمن خَائفًا على نَفسه وَدينه وَدَمه وَأَهله وَمَاله

(١) برقم (١٩٤١٥).

لَا يدْرِي أَيْن يسْلك أَوْ مَعَ من يكون » فكان مما قال له:«... فَقَالَ ذُو خولان فَقَالَ أشهد أَنِّي نزلت عَن رَأْي الحرورية وصدَّقت مَا قلت، فَلم يلبث ذُو خولان إلا يَسِيرا حَتَّى مَاتَ ». (١)

ولذلك كان من أجل النعم التي ينعم الله بها أن يوفَّق المرء لرجل من أهل السنة حتى لا ينحرف ويكبر انحرافه ثم يعز عليه الرجوع عنه بعد ذلك.

فأخرج اللالكائي وابن بطة(٢) بسندٍ يحسن إن شاء الله عَنِ عبد الله بْنِ شَوْذَبٍ قال: «مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الشَّابِّ وَالْأَعْجَمِيِّ إِذَا نَسَكَا أَنْ يُوَفَّقَا لِصَاحِبِ سُنَّةٍ يَحْمِلُهُمَا عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الْأَعْجَمِيَّ يَأْخُذُ فِيهِ مَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ».

وأخرج اللالكائي(٣) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَوْذَبٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدَثِ وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوَفِّقَهُمَا اللهُ لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وأخرج ابن بطة (٤) بسنده عن عَمْرو بْن قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ قال: «إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَارْجُهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ ، فَايْأَسْ مِنْهُ ، فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نَشْئِهِ» قَالَ: وَسَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ قَيْسٍ يَقُولُ: إِنَّ الشَّابَّ لَيَنْشَأُ ، فَإِنْ آثَرَ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعِلْمِ كَادَ أَنْ يَسْلَمَ ، وَإِنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِمْ كَادَ أَنْ يَعْطَبَ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه : «إِذَا رَأَيْت الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَرْجِهْ وَإِذَا رَأَيْته مَعَ أَصْحَابِ الْبِدَعِ فَايئَسْ مِنْهُ فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ» انْتَهَى كَلَامُهُ.

---

(١) وقد ذكرت قصَّته مخرجة بطولها في كتابي«مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم»

(٢) «شرح أصول الاعتقاد»(٣١) و«الابانة الكبرى» (٥١٧).

(٣) في«شرح أصول الاعتقاد»(٣٠).

(٤) في«الإبانة الكبرى»(٥١٨).

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ «السِّرِّ الْمَكْتُومِ» لَمَّا ذَكَرَ الْمُعْتَزِلَةَ وَغَيْرَهُمْ وَالْفَلَاسِفَةَ قَالَ: اللهَ اللهَ مِنْ مُصَاحَبَةِ هَؤُلَاءِ، وَيَجِبُ مَنْعُ الصِّبْيَانِ مِنْ مُخَالَطَتِهِمْ.[١]

وتقدَّم ما أخرجه أبو نعيم بإسنادٍ حسن لطرقه على أقل الأحوال عنه[٢] قال: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ مَمْشَاهُ وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ وَمَجْلِسُهُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ».

وأختم بأثر عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: «لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا».[٣]

والمقصود:

بيان إساءة أهل البدع إلى العلماء- وعلى رأسهم الصحابة- على مر التاريخ إلى يوم الناس هذا: الطعن والسبّ للعلماء.

بل يطعنون على مَنْ يطعن في مثل سيد قطب يتعصبون له، سيد قطب الذي يسب الصحابة رضي الله عنهم سبًا جريئًا، ويتكلم على الأنبياء بما لا يليق، فهذا يُسمِّى الطعونَ على سيد قطب بـ«جليطة»، والطاعن «أحمقَ»، وهذا يعتذر عن سيد قطب، وهذا يمجده، وهذا يشهد له بالشهادة جزمًا و ... .

أما الذي يدافع عن الصحابة رضي الله عنهم من العلماء، ويطعن فيمن يسبهم، ويبين عواره، وينصح للأمة ...، فهذا يُكذَب عليه، ويُرمَى بالألقاب، ويُطلق العنان للعوام ينالون منه، ثم ينادي بَعْدُ بإجلال العلماء، ورفع مكانتهم!!

---

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٥٧٧).

(٢) كما بينته قبل .

(٣) أخرجه الدارمي في«السنن»(٣٠١) وإسناده حسن ، وله طريق آخر أخرجه ابن السماك في«الثاني من أماليه»(٩٩) والخطيب البغدادي في«اقتضاء العلم العمل»(١٦) بسندٍ منقطع.

فهل اللعب إلا هذا من المجرمين، اللاعبين بعقول العامة؟!

والله المستعان؛ كشف الله زيغهم ودفع كيدهم في نحورهم، إنَّه على كل شيء قدير.

ولأنهم يعلمون أن من البديهي عند العامة ـ فضلاً عن الخاصة ـ أن سباب العلماء طبع سوء لا يرضاه من شم رائحة الفهم، فضلاً عن العلم والإيمان خصلة أول قائم بها في صدر هذه الأمة أهل النفاق، قال إمامهم ابن سلول عن العلماء : « مَا أَرَى قُرَّاءَنَا هَؤُلَاءِ إلا أَرْغَبَنَا بُطُونًا وأَجْبَنَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ ».

فإن الناس متى علموا هذا في قوم قَلُوهم وعاملوهم بما عامل به عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ زيدَ بن اللصيت المنافق، فقال له لِمقالة قالها في رسول الله ﷺ: «إنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، اُخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي».(١)

فالعامة وغيرهم ينفرون من سب العلماء – وحُقَّ لهم – فلما أراد أهل البدع أن يُنفّروا قلوب العوام – لا سيما مَن لا تمييز عنده – عن أهل العلم من أهل السُّنة نسبوهم إلى سبِّ العلماء ليكرههم الناس !!

بل– والله – هم في الحقيقة ضُلاَّل عن معرفة ميزان العالم بحق، إذ يسقطون اسم العالم على الجاهل والمبهم والمبتدع ومَنْ وافقهم.

فكن منهم على حذر، فإنهم يسيئون إلى العلماء، ليدافعوا عن أهل

الأهواء والبدع، الذين أسموهم: علماء؛ ولو سلمنا أنهم علماء فهل يدافع عن العلماء بالإساءة إلى العلماء؟ سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

.(١) كما في سيرة ابن إسحاق – فيما حكاه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤٧٠) بسندٍ حسنٍ خرجته في كتابي «صحيح السيرة النبوية» في فصل: مواقف المنافقين في غزوة تبوك.

فالله الموفق والمسئول أن يقينا العثرات والزلات، وأن يفتح بما كتبنا أعينـًا عميـًا، وآذانـًا صُمـًا، وقلوبـًا غُلفـًا، إنَّه على كل شيء قدير.

وصلِّ اللهم وسلِّمْ وبارك على محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو يحيي محمد بن عبده

بلطيم - كفر الشيخ - مصر

كتب للمؤلف

كتب العقيدة والمنهج:

* لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة ٤ مجلد

* التوضيحات الجلية في بيان عقيدة أهل السنة ١ مجلد كبير «الطبعة الثانية».

* الشروح الرضية لمتون العقائد السلفية:

1- شرح «شرح السنة» للبربهاري. ٢مجلد

2- شرح «شرح السنة» للمزني. جزء

3- شرح «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» للصابوني شيخ الإسلام.

1 مجلد

4- شرح «الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب. جزء

* شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين معاوية الأمين وشيء من سيرته. جزء

* ذم النفاق وأهله. جزء

* غصة الخوارج المارقين في بيان منزلة الدعاء للأمراء والسلاطين.

جزء

* مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم. جزء

* نصح الحكام بين الغلو والتفريط، متضمن الرد على وحيد بالي في كتابه: «علماء وأمراء» والتنويه على منهجه. مجلد

* عقيدة المسلم الصغير «المستوى الأول والثاني والثالث». جزء

كتب النساء في الفقه:

* تبصير النساء بما يهمهن من شريعة رب الأرض والسماء. 6 مجلد.
* تنبيهات على أمور تختص بالمؤمنات مجلد.
* أدب المرأة وتأديبها مجلد.
* تبصير النساء: قسم الطهارة والصلاة مجلد.
* تبصير النساء: قسم النكاح مجلد.
* تبصير النساء: قسم اللباس والزينة وأحكام النظر وفتيات الجامعة.
* تبصير النساء: قسم المفارقات الزوجية مجلد.
* نظرات في محاسن التشريع الإسلامي للمرأة المسلمة.

كتب شروح الأحاديث

* حديث: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ**» رواية ودراية.

جزء.

* حديث: «**مطل الغني ظلم**» وبيان التجاوز عن المعسر غلاف.
* نظرات في قوله: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» قانون الحياة غلاف.

كتب التخريج والتحقيق:

* الفوائد النيرة في تخريج أحاديث وآثار التذكرة. 3 مجلدات.
* «التذكرة للقرطبي» تحقيق مجلد.
* البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (مشاركة)4 جزء.
* تحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داود مجلد.

كتب للأطفال:

* حقيبة طالب العلم الصغير، وتشتمل على:

1- مواقف من السيرة النبوية لطالب العلم الصغير «متضمن الرد على أمين الأنصاري في كتبه للأطفال».

2- تعليم الأبناء الصغار العقيدة، وبذيله توجيهات مفيدة للمعلمين.

3- آداب الأبناء الصغار «يتناول ضبط سلوك الطفل».

4- الأذكار للطفل الصغير.

5- الفقه للطفل الصغير «قسم العبادات».

6- أخلاق المسلمين والتأدب معهم «للطفل الصغير».

كتب في موضوعات عامة في الفقه والرقائق:

* الأبنية والعمران بناؤها وأثاثها في ضوء الشريعة الإسلامية مجلد.

* البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة مجلد.

* «فقه الوصية» في سؤال وجواب جزء.

* الأحكام المتعلقة بالعقيقة جزء.

* سنن غائبة وأخطاء شائعة في مقابر المسلمين جزء.

* تذكير الأنام بصلة الأرحام جزء.

* الصحيح من برِّ الوالدين وفقه التعامل معهما جزء.

* فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه جزء.

* ذم شر الناس ذي الوجهين . جزء.

* جامع أحكام الميت الجزء الأول جزء.

* مصير موتى الأطفال في الآخرة جزء.
* أعمال تدخل صاحبها الجنة جزء.
* أعمال تدخل صاحبها النار جزء.
* التهاني في المناسبات جزء.
* قبس من أعمال تدخل صاحبها الجنة جزء.
* قبس من تذكير الأنام بصلة الأرحام جزء.
* قبس من فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه جزء.
* رسالة إلى العاملين في الحقل الطبي جزء.
* طالب العلم حقوقه وآدابه مجلد.
* جامع أحكام الهبات والنفقات مجلد.
* بدعية الذكر والدعاء الجماعي جزء.
* التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم جزء.
* صحيح السيرة النبوية (دراسة تحليلية لتنقية أحداث السيرة مما علق بها من روايات غير مقبولة). ٣ مجلدات.
* ردع المجرم عن سب المسلم، وما يتعلق بالسباب من أحكام. جزء.
* خطب ودروس العام بصحيح القصص النبوي (دروس وخطب لمدة عامين بلا تكرير) تحت الطبع ٦ مجلدات.
* ذم أصحاب الأهواء والبدع وفقه التعامل معهم مجلد.
* فقه الرد على المخالف في أصول منهج أهل السنة مجلد.

* تصحيح حقبة من التاريخ مجلد كبير.
* التكلف وآثاره الواضحة في منهج أهل السنة والجماعة. غلاف.
* حب الظهور وقضية الخمول في الشريعة الإسلامية. غلاف.
* الدر المنضود شرح كتاب التوحيد.... في مجلدين.
* الآيات البينت على مخالفة معتقدات الشيعة لمعتقدات ومسالك آل البيت. جزء
* بدر التمام في توضيح أجوبة أبي مسعود الدمشقي عما غلَّط في الدارقطني مسلما. في جزء
* إصلاح مسجد فح الدين. في جزء.
* العلم الشرعي وأثره في إزالة الفرقة والاختلاف بين المسلمين . في جزء .
* شخصية حكيم الأمة أبي الدرداء رضي الله عنه في جزء
* دخول الفكر الخارجي على أبناء المسلمين.
* ارحموا أمواتكم يرحمكم الله . في جزء.
* وقت البكور أهميته والاستفادة منه وبركته عند السلف في جزء
* التلون في الدين والمتلونون في جزء
* حب الوطن والسعي في أمنه. في ضوء الكتاب والسنة. في جزء
* همم صغار الأمة كيف كانت في جزء

الدورات الصوتية:

* سلسلة تيسير دراسة الفقه للنساء. «٦٦ محاضرة شرح كتاب تنبيهات على أمور تختص بالمؤمنات».

* سلسلة دراسات في أصول التفسير (شرح أصول التفسير).

* الردود العلمية على الأخطاء المنهجية والآراء البدعية المتهافتة.

* سلسلة شرح التوضيحات الجلية في عقيدة أهل السنة.

* سلسلة في كيفية نصح الحكام.

* سلسلة شرح كتاب الأصول الثلاثة.

* سلسلة المخالفات في مقابر المسلمين.

* سلسلة شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة.

* شرح عقيدة المسلم الصغير.

* سلسلة مناصحة الخوارج.

* عدة محاضرات شروح لصحيح البخاري.

* شروح لصحيح مسلم بلغت ما يقارب من ٢٨٠٠ محاضرة.

* تعليقات على السيرة النبوية الصحيحة والتنبيه على الضعيف منها. «١٠٣ محاضرة».

* سلسلة الخطب والدروس العامة في موضوعات متفرقة. «أكثر من ٢٠٠ محاضرة وخطبة».

مقدمة..... .... ٣

غياب العَالِمِ ضلال ٤

تمهيد لتصحيح المفاهيم في ذلك..... ١١
صِفَاتُ الْعَالِم الحقيقي..... ٢٨
صِفَاتُ الْعَالِمِ فِي نَفْسِهِ..... ٣٠
الْعَالِمُ الرباني..... ٣٠
ثناؤه عَلَي مَنْ يعلم فيه العلم والسُّنَّة..... ٣١
انصاف العالم..... ٣٤
لا يكون الْعَالِمُ، عَالِمـًا بكثرة الكلام والتوسع في القول..... ٣٥
أنَّ مما يتميز به الْعَالِمُ كِبَرَ السِّنِّ – أحيانـًا – ٤٠
ليس الْعَالِمِ بأن يكون فقيهـًا بالْوَاقِع..... ٤١
يتميز الْعَالِمُ بدقة الفراسة وكثرة التجارب..... ٤٣
علامات الْعِلْمِ النافع..... ٤٥
خشوع العالم وأمن شرِّه..... ٤٧
سِمات أهل الْعِلْمِ النَّافعِ..... ٥٠
صِفَات العالم في درسه..... ٥٣
ومن صِفَات العَالِمِ احترام عُقُولَ مُستَمِعَيهِ..... ٥٧
هروب العالم من الدُّنْيَا والرِيَاساتِ، وحاله مع طلبته..... ٥٨
العالم لا يغضب ممن يصحح له..... ٥٩
تعامل العالم مع غيره..... ٦١
تنبيه على ذكر بعض علماء العصر..... ٦٢

حقوق الْعُلَمَاءِ على الْأُمَّةِ..... ٦٧
حقوق الْعُلَمَاءِ على الأفراد والجماعات..... ٦٨
أحوال الذين يقدحون في الْعُلَمَاء..... ٦٩
أحوال الحكام مع نصح العلماء لهم..... ٧١
خاتمة تتعلق بما سبق ٨٠
طرف من إساءة أهل البدع..... ٨٥
أحوال أهل البدع مع الأئمة والعلماء..... ٩٦
ومن سوء أدبهم مع الصحابة ١٠٣
إهانتهم للأفاضل من الصحابة.....١٠٣
عدم سلامة المجتمع منهم.....١٠٤
سوء صنيع أهل البدع الذين نسبهم البعض للعلماء مع الأمراء ١٠٦
سوء صنيعهم مع أنس بن مالك رضي الله عنه.....١٠٨
بيان فائدتين تتعلقان بالطعن على الأمراء.....١٠٩
تعطش أهل البدع قديمـًا وحديثـًا للدماء.....١١٠
قصة عجيبة خارجي مبتدع مع عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ.....١١١
عدم سلامة الصحابة من أهل البدع.....١١٢
إساءة أهل البدع للناس جميعـًا أهل البدع وغيرهم.....١١٥
محاولة أهل البدع استخلاص سُبَّه لعثمان من بعض الصحابة.....١١٦
إخراج المرموقين ممن ينسبون إلى العلم في صفوفهم فيفسدوهم.....١١٧

عجينة منهم.....١١٨
فعلهم مع أيمن بن خريم المختلف في صحبته.....١١٨
فعلهم مع مسلم بن يسار.....١١٨
كذب أهل البدع على أهل السُّنَّة.....١٢٠
افساد أهل البدع من التصق بهم من أهل العلم.....١٢٠
كذبهم على عائشة.....١٢٢
تزويرهم كتب على عثمان.....١٢٢
كذبهم على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.....١٢٣
هذا كذبهم على أبي بكر بن أبي داود.....١٢٣
كذبهم على البربهاري وأصحابه.....١٢٤
كذبهم على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.....١٢٨
كذبهم على على بن أبي طالب أنه قتل عثمان.....١٣١
تقهقر أهل البدع إذا واجهوا أهل السنة.....١٣٣
محاربة أهل البدع لأهل السنة في أرزاقهم.....١٣٨
خاتمة للكتاب بأكمله.....